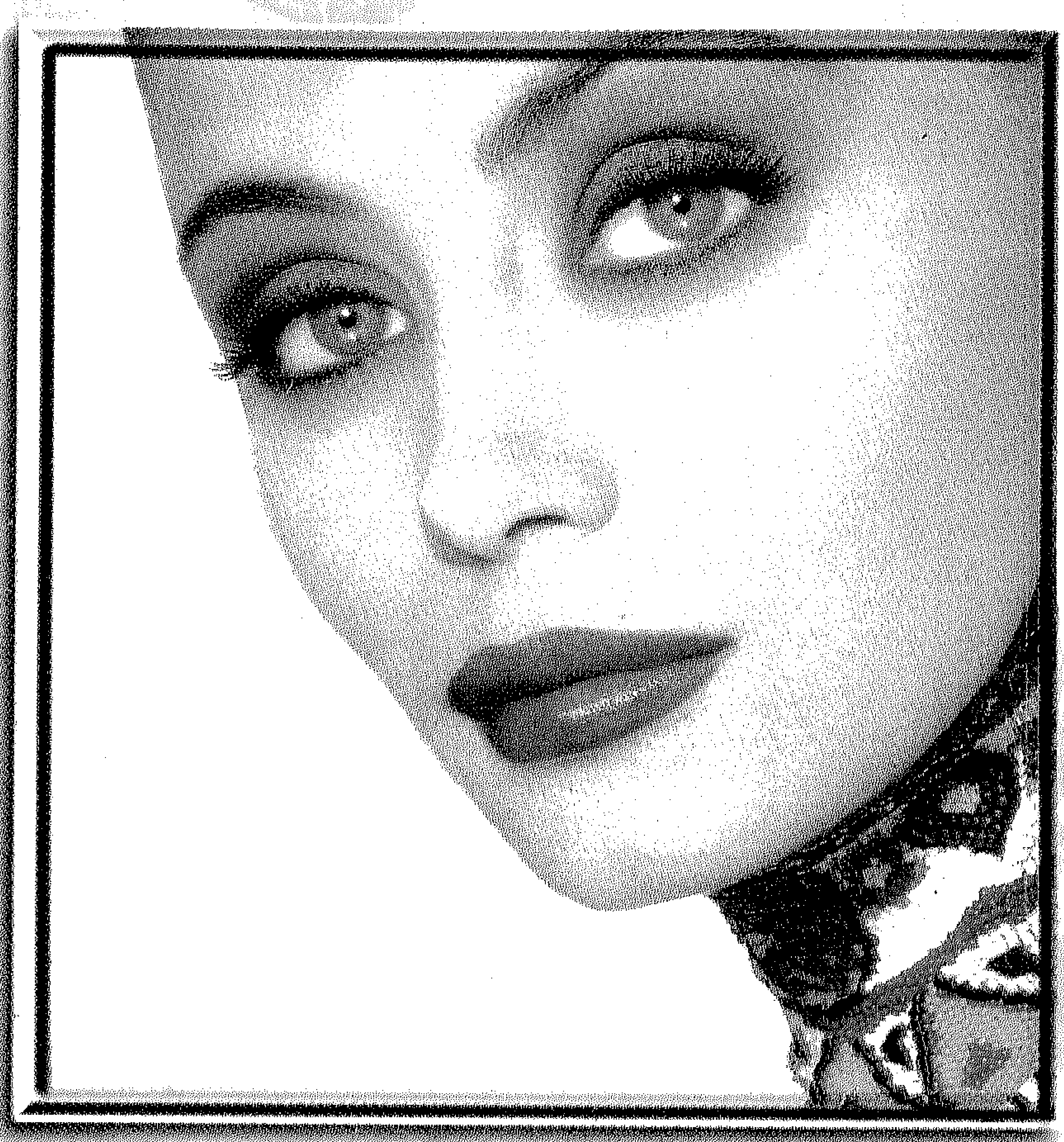
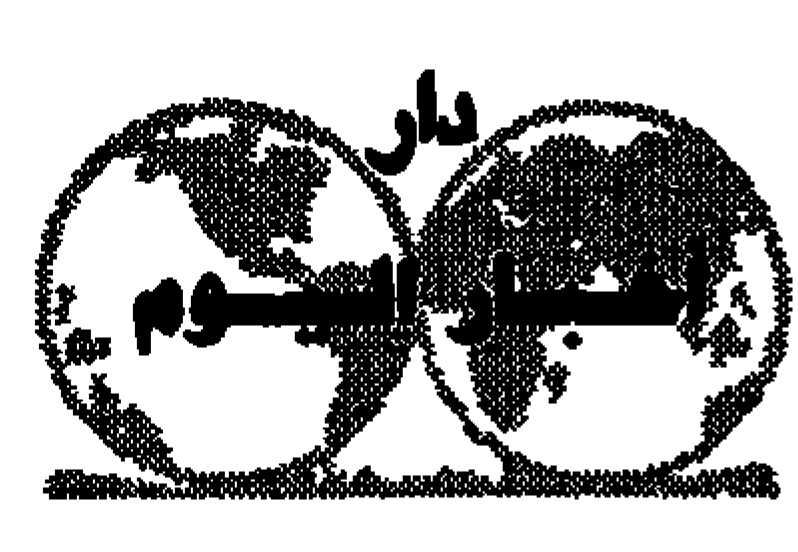
كتاب اليوم

دنيا بنت دنيا



أحمد بهجت



قطاع الثقافة

كتاب اليوم

يصدر
أول كل شهر

□ عدد ديسمبر ١٩٩٧ □

أسعار كتاب اليوم فى الخارج

الجماهيرية العظمى	٢	دينار
المغرب	٢٠	درهما
لبنان	٤٥٠٠	ليرة
الأردن	٢٠٠٠	فلس
العراق	٧٠٠٠	فلس
الكويت	١,٥	دينار
السعودية	١٢	ريالاً
السودان	٣٢٠٠	قرش
تونس	٢	دينار
الجزائر	١٧٥٠	سنتا
سوريا	١٢٥	ل.س
الحبشة	٦٠٠	سنت
البحرين	١,٢٥٠	دينار
سلطنة عمان	١,٢٥٠	ريال
غزة	٢,٥٠	دولار
ج. اليمنية	١٥٠	ريالاً
الصومال، نيجيريا	٨٠	بنى
السنغال	٦٠	فرنكا
الإمارات	١٢	درهماً
قطر	١٢	ريالا
انجلترا	٢	جك
فرنسا	١٠	فرنكات
المانيا	١٠	ماركات
إيطاليا	٢٠٠٠	ليرة
هولندا	٥	فلورين
باكستان	٣٥	ليرة
سويسرا	٤	فرنكات
اليونان	١٠٠	دراخمة
النمسا	٤٠	شلنا
الدنمارك	١٥	كرون
السويد	١٥	كرون
الهند	٣٥٠	روبية
كندا - أمريكا	٣٠٠	سنت
البرازيل	٤٠٠	كروزيرو
نيويورك - واشنطن	٣٥٠	سنتا
لوس انجلوس	٤٠٠	سنت
استراليا	٤٠٠	سنت

● الاشتراكات ●

جمهورية مصر العربية

قيمة الاشتراك السنوى ٤٨ جنيها مصريا

● البريد الجوي

دول اتحاد البريد العربى ٢٥ دولارا

اتحاد البريد الافريقى ٣٠ دولارا

أوربا وأمريكا ٣٥ دولارا

أمريكا الجنوبية واليابان واستراليا

٤٥ دولارا أمريكيا أو ما يعادلها

● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور

● ترسل القيمة إلى الاشتراكات

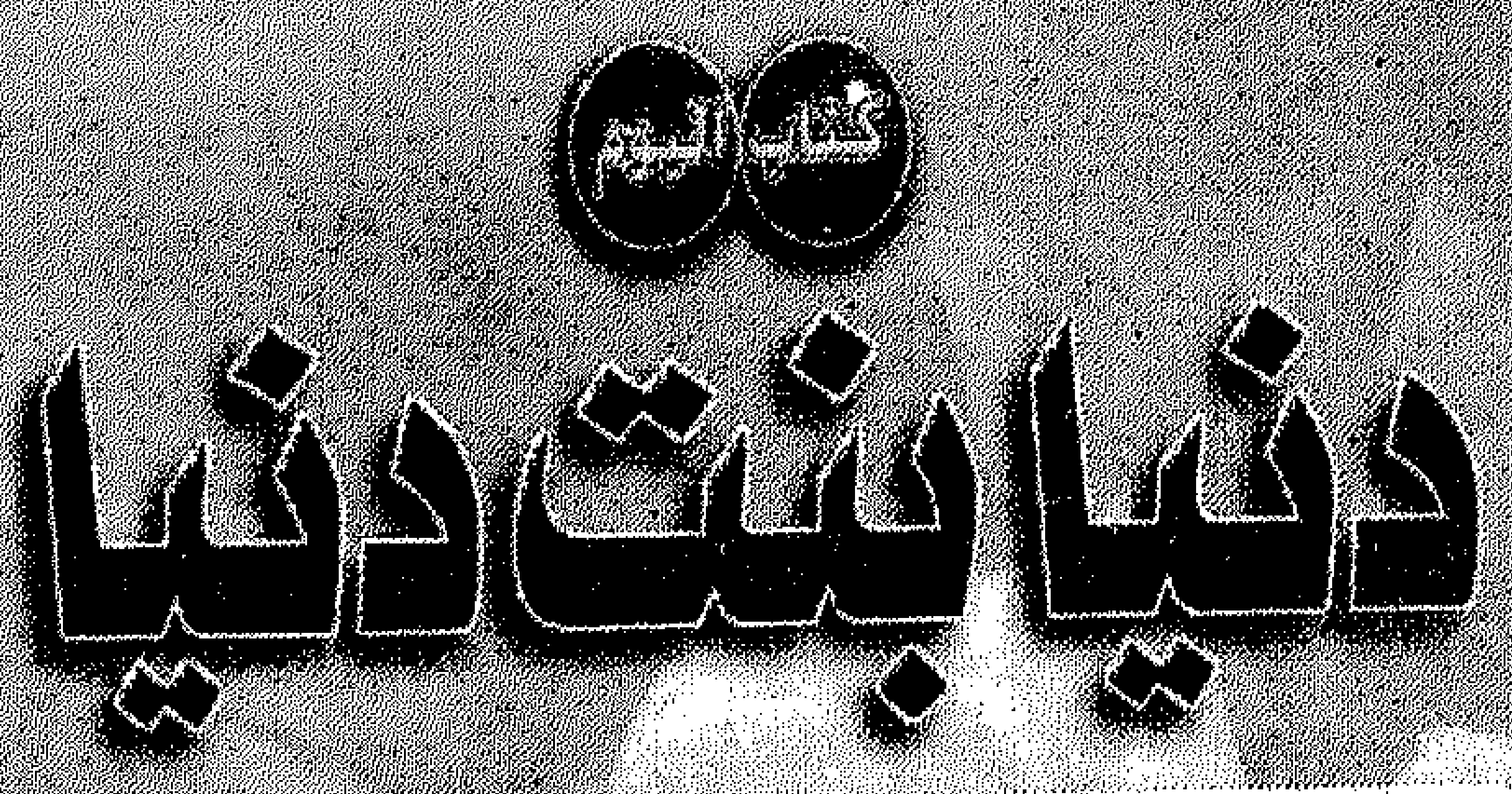
٣ (أ) ش الصحافة

القاهرة ت : ٥٧٨٢٧٠٠ (٥ خطوط)

● فاكس : ٥٧٨٢٥٤٠

● تلكس دولى : ٢٠٣٢١٠

● تلكس محلى : ٢٨٢





أحمد بهجت

الغلاف والإخراج الفني :

مجدى حجازى

دنيـــــا ..
بنت دنيـــا

١

مناسبة سعيدة

قالت الـزوجة لزوجهـا: هناك مناسبة هامــة جدا .. أرجوك ألا تنســاها هز الزوج رأســـه بما يؤكد أنه فاكـر .. وانصرف من البـيت .. قال فـى نفسـه : عم تتحدث زوجتى ؟ .. لم يعرف ماالذى كـانت تقصـده بالمناسـبـة الهامـة، ثم تذكر اننا فى شهر اكتوبر، ورجح أن زوجته تقصد حـرب اكتوبر.. غير أنه استبعـد هذا الظن لأن زوجته لا تهتم كثيرا بالسياسة ولا بالحروب .

ونسى الزوج كل شئ خـلال عمله اليومى .. وعاد إلى بيتـه بعد العصر متعبا مرهقا يريد أن ينام ..

أحس حين دخل البيت بحركة غير عادية، كانت زوجته في مركز قيادتها في المطبخ ..

وكان هو قد تغدى قبل أن يصل إلى البيت غداء عمل، ودخل غرفته وخلع ملابسه ودخل في فراشه.. ولكن ابنه نقر على الباب نقرة خفيفة ودخل الغرفة متلصصا وقال لأبيه همسا :

- افتكرت والا لأ ..

لم يعرف الأب ما الذى يقصده ابنه فسأله :

- افتكرت إيه ؟

قال الابن وهو يخفض صوته :

- اليوم عيد زواجك .

جلس الأب فى فراشه منزعجا.. لقد فهم الآن الاشارات التى اشارتها زوجته فى بداية النهار.

هذا عيد زواجهما .. والمطلوب منه تقديم هدية لزوجته .. والمفروض أن تكون الهدية شيئا قيما يؤكد اشتعال الحب وزيادته وتوهجه مع الزمن..

قال الأب لأبنه وكأنه يستنجد به : لقد نسيت المناسبة تماما ..

قال الابن : أمى لم تنس .. وهى تعد طعاماً للعشاء وتنتظر منك هدية غير عادية..

نهض الأب وارتدى ملابسه بسرعة البرق ونزل إلى الشارع ، توجه نحو أقرب محل للزهور وقال للبائع:

ـ أريد عشرين وردة بيضاء من النوع المعطر .

أندهش البائع من العدد ، ولكنه رضخ للطلب .. وعاد الزوج إلى البيت سعيدا فقدم الزهور لزوجته وهو يقول لها :

ـ لقد تزوجنا منذ عشرين سنة ، وها هى هديتى إليك ، وردة عن كل سنة قضيناها معا ..

قالت الزوجة وهى تنظر للورد باستهانة : وردة عن كل عام .. ما ارخص التعبير الذى تقدمه إلىّ ..

قال الزوج : هو تعبير رمزى ، ولو أننى قدمت إليك جواهر التاج لكنت مقصراً فى حقك ..

قالت الزوجة : يا سلام.. تتكلم كالعشاق وتتصرف كالبخلاء ..

فكر الزوج بينه وبين نفسه انه لو قتل زوجته منذ عشرين عاما وحصل على حكم بالمؤبد، لكان قد خرج اليوم حرا طليقا لحسن سيره وسلوكه، ولكن الطيب أحسن ، والخيرة فيما اختاره الله ..

عادت الزوجة تسأله : لماذا تتعامل معى بالرموز ومع غيرى بالكنوز .

قال الزوج : الكنوز تفنى بينما الرموز باقية ..

قالت الزوجة : سئمت هذه الفلسفة الكذابة .. اريد هدية من الذهب .. أريد ثعبانا مرصعا بالياقوت والماس، احتفظ أنت بالرموز ولو من باب التغيير.. ودعنى اتعرف على الكنوز .. ماذا قلت .. قال الزوج لا حول ولا قوة إلا بالله ..

٢
بحثا عن السعادة

هل أنت مبتئس ؟

هل أنت مـكـتـئـب ؟ هل أنت حزين ؟

هل تبحث عن السـعادة ؟ هل فقدت وظيـفتك ؟ هل تبحث عن عمل آخر ؟

لا تسـتسلم للاحـزان .. هناك من يقف على اسـتـعـداد لمعـاونتك فى اجتيـاز هذه الازمة وتحقيق الـسعادة لك ..

لن يكلفك الأمر كثيرا ..

إن الدنيـا مناهج دراسـية ليـتـعلم الناس كيف يصبحون أغنياء وسعداء،

كمـا أن لدينا حلقات بحث تعلم الناس كـيف يحصلون على شريك مناسب لحياتهم، وكيف يضمدون جراحهم النفسية ..

سنوفـر لك كل هذا بمـبلغ زهيـد هو ٢٠٠ دولار . أرسل إلينـا ٢٠٠ دولار على العنوان الـتـالى وانـتظر وصـول المطبـوعـات إليك .. وسـوف تكتـشف أن هذه المطبوعات هى طريقك إلى السعادة ..

قال صديقى : ما رأيك ؟

قلت له : فى أى شئ .

قال: هل أرسل إليهم ٢٠٠ دولار ..

قلت له : أنت حر ، أنك ستسعدهم بهذا المبلغ ، هذا أمر لا ريب فيه ، المشكلة كلهـا هل يفتحون لك ابواب السعادة بما سيرسلونه إليك ؟

هذا هو السؤال ..

قال صديقى : هل تظن انهم يبيعون الوهم ؟

قلت له : ربما نسـمـيـه الامل بدلا من الوهم .. إن الامل احيانا يصبح سلعة مطلوبة ..

إن من الصـعب على الـناس أن يعـيـشـوا بلا أمل، وهناك من يستـغل حاجة الناس إلى الأمل فيـفتح هذه المكاتب التى تعلن عن نفسـهـا فى أمريكا وفى غـيرها من بـلاد العـــالم .. وهكـذا ترسل أنـت الدولارات ،

ويرسلون هم الأمل ، واحيانا تكون الدولارات أغلى من الأمل، وأحيانا تكون أرخص ..

ويبدو أن مشكلة السعادة أعقد وأشد تركيبا مما تبدو عليه فى الحقيقة ، إن بعض أصحاب مكاتب السعادة فى أمريكا يشكون من زبائنهم ، يقول ريتشارد وولف المتخصص فى السلوك البشرى : إن الناس يريدون حل مشاكلهم بطريقة سريعة وسهلة وخالية من المعاناة ، انهم يحضرون إلى مكتبى كما يذهبون إلى الطبيب البشرى، ويتصورون أن بإمكاننا أن نكتب لهم وصفة طبية تزيل همومهم فى الحال وهذا مستحيل ..

ويرى بعض أصحاب مكاتب السعادة أن تحقيق السعادة ممكن للبشر ، بشرط أن يكون مفهوما أن السعادة لابد ان تنبع من داخل الانسان ، وأن على الانسان ان يبحث عنها داخل نفسه، ولا يتعدى دور هذه المكاتب مساعدة الانسان على اكتشاف النبع الذى تفيض منه السعادة.. هى دائرة مغلقة اذن .. تبدأ من حيث تنتهى وتنتهى من حيث تبدأ والحقيقة أن الناس ينقسمون أمام السعادة إلى قسمين.. قسم طموح يريد السعادة لنفسه، وقسم اكثر تواضعا واقل طموحا، وهذا القسم لا يبحث عن السعادة وإنما يبحث عن الراحة ..

وهو يكتفى بها بديلا عن السعادة ..

ولما كانت السعادة حلما انسانيا فإن ما ينطبق على الانسان ينطبق عليها ، إن الانسان حياة تعى انها حياة، والوجود الانسانى بغير اتصال بالآخرين سجن لا يمكن احتماله .

يرى علماء النفس أن أعمق حاجات الانسان هى حاجته للتغلب على وحدته وغربته وانفصاله، لأن الانسان إذا انفصل عن العالم فقد رؤية العالم ، وزاد احساسه بالغربة والرعب ، فهو يتوقع الهجوم عليه من عالم لم يعد يراه أو يتصل به ..

وليس هناك طريقة للاتصال بالكون والآخرين غير الحب ..

وبغير الحب تتحول الحياة إلى سجن انفرادى وعزلة قاسية ..

الطريق إلى السعادة اذن لابد أن يمر بالحب .. وشئ من هذا يحدث فى المكاتب التى تدل الناس على السعادة .. ويلتقى فيها الرجال والنساء ، ويوجه كيوبيد سهمه للقلوب ، وتسفر اللقاءات والحوارات عن الوقوع فى الحب.. وهكذا ينفتح باب السعادة أو فلنقل انه يوارب . وهذه نتيجة لا بأس بها .

٣

الحب الأول ..

شــاهدها فى نهــاية الصــبا ومطلع الشباب ...

ويبدو أن كيوبيــد كان يعبث بسـهـمه وقـوسه فــأطلق سـهـما شبك به قلب الشاب والفتاة..

وقع صــاحبنا فى الحب .. وكــانت هذه الفتاة قصة حبه الأول .. والحب الأول هو هذا الشــعـور المزلزل الذى يمحو ما قبله ويــذيب ما عداه ويترك الانسان أمــام سر الحياة وقــد اسرته الدهشــة والعــذوبة.. وامــتدت امــامــه الحيرة التى تتمثل فى سؤال يقول :

ـ ما هى الخطوة الثانية ؟

طرح السـؤال على عـشرات من مـعـارفه وأقـربائه واصدقـائه وكانـت نصيـحة الجمـيع أن يتـقدم لابيـها ويتزوجها..

أخذ الشاب بالنصيحة وتقدم.. ولكن الأب - لاسباب لم يوضحـها - رفض أن يزوج ابنته.. واشـتعلت النار في قلب العاشق

بعد شهـر واحد انتقل الأب باسرته إلى مـدينة ثانية في ايران ، وزادت النار اشتعالا في قلب العاشق ..

لقد كان يرى محـبوبته على الأقل ، وها هي تذوب أمامه كما تذوب سحابة صيف عابرة ..

انطوى الشاب على جراحه وراح يلعقها في صمت ، ثم عنَّ له أن يبـحث عنهـا فطاف بايران كـلها شـرقـا وغربا وشمالا وجنوبا دون أن يعثر لها على أثر ..

كـان يبـحث في الـطرقـات والأسـواق ويحـدق في الوجوه بلا أمل ..

وأحتله اليأس فعاش حـياته وصورتها في قلبه ، لم يتـزوج ، ولم ينشئ أسـرة .. وتسـربت الأيام من بين أصابعه حتى وصل عمره ٨٥ سنة ..

وفي هذا العمر طرقت السعادة بابه فجأة ..

لقـد دخـل الشـيخ الهـرم والعـاشق الـسـابق دارا

للمسنين ليعيش فيها ما بقى له من أيام.. مات معظم أقاربه، ولم يكن له أولاد لأنه لم يتزوج ، وهكذا دخل دار المسنين وبدأ حياته فيها ، ليلتقى باكبر مفاجأة فى حياته ..

لقد اكتشف أن حبه الأول يعيش معه فى دار المسنين فى غرفة لا تبعد كثيرا عن غرفته ..

لقد رفضت هى الاخرى ان تتزوج أو ترتبط بأحد ، وتقدم الشيخ العاشق وهو فى الخامسة والثمانين يطلب الزواج من حبيبته وكان عمرها قد شارف الثامنة والسبعين .

اجتمع الشمل اخيرا بعد ستين عاما كاملة .. ولطفت الأقدار بالعاشقين وانطبق عليهما قول الشاعر :

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما

يظنان كل الظن ألا تلاقيا..

وانتهت القصة نهاية سعيدة ، رغم بدايتها المأساوية، وتناقلت وكالات الأنباء خبر العروسين السعيدين فى باب الغرائب والطرائف التى تمتلىء بها الدنيا .. وتنطوى عليها احداث الحياة ..

هل تسأل عن مكانة الحب الأول وتأثيره فيمن يمر به ..

لقد دخل الحب الأول مـتحف التاريخ فى عـصرنا ، ولم يعد هذا الحب زلزالا صـاعقا يقلب كيـان الانسان ويحوله ، إنما اصـبح تجربة أولى تليـها تجـارب ثانية وثالثة وعاشرة ..

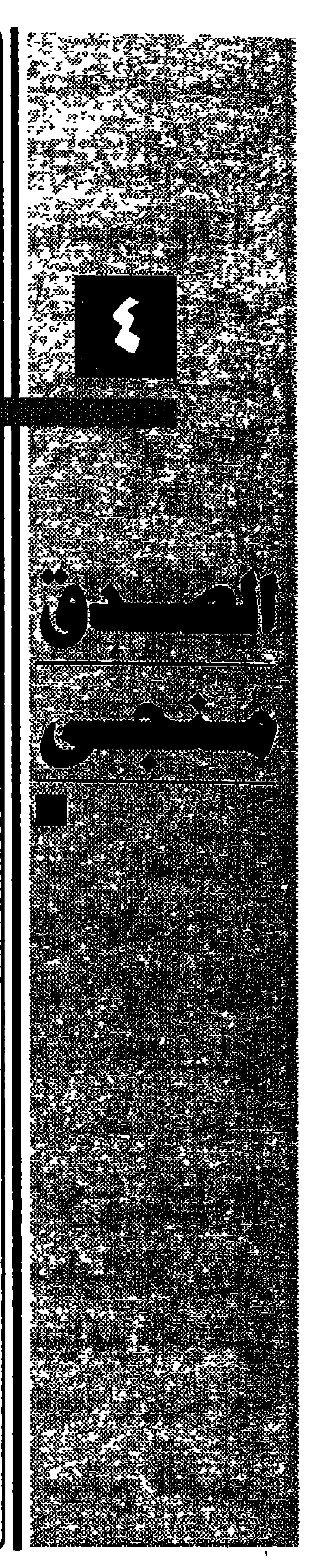
وقديما كان الشاعر البرىء يقول :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى

ما الحـــب إلا للحبيـب الأول ..

لقد تغيـر هذا البيت .. خضعت الشطرة الثانيـة فيه لتقلبـات الزمان وصروف الاحداث وصـارت «ما الحب إلا للحبيب الآخر».

أما الحبيب الأول فقد اسـتقر اخبارا نادرة ومتناثرة فى باب الغرائب والعجائب فى الصحف والمجلات.



ونحن أطفال ..

كان يلفت انتباهنا مجموعة من العبارات التى كان الخطاطون يتبارون فى كتابتها، ثم يقوم من يشتريها ببروزتها فى برواز ذهبى جميل ، حيث تعلق على الحيطان فى المدارس والبيوت والنوادى وما أشبه ..

مثال ذلك عبارة تقول «رأس الحكمة مخافة الله» .. أو عبارة تقول «الأدب فضلوه على العلم» أو عبارة تقول «الصدق منجى» أو حكمة تقول «من طلب العلا سهر الليالى» .. إلى آخر هذه العبارات التى تنتسب فى

أصلها إلى القيم والأخلاق ..

وأحيـانا كانت هذه اللوحـات المعلقة تثـير سخـريتنا حين نتحـدث عن أشياء لا وجود لها فـى المجتمع.. أو تحث على أشـيـاء نرى المجـتـمع الفـعـلى يحث على عكسها ..

مثال ذلك لافتـة تقول : الوقت من ذهب ، أو لافتة تقول : الصدق منجى ..

إن الوقت لم يكن من ذهب ولا فضـة ولا نحاس ، إنما كان بلا سعر . أيضـا كانت تجربتنا تدلنا على أن الصدق هو أسـرع الطرق للعقـوبة ، وليس منجـياً من المهالك كما يقولون ..

ثم كبرنا أكثر وتزوجنا فـإذا برصيدنا من المعلومات يكشف لنا أن الصـدق ليس مطلوبا فى كل الأحـوال ، وأن هناك اكاذيب بيضـاء واكاذيب خضراء ، وأن هذه الأكـاذيب يمكن أن تكون هى المـنجى بدلا من الصـدق البحت الذى صار شيئاً رياضيا كالصفر ..

رغم هـذا كلـه ، يمكن الـقـــول أنه لا يـصح إلا الصحـيح ، وبالتالـى يظل الصدق قـيمة عليـا لا يؤثر عليـها مـيل الناس إلى الكذب ، أو تفـضـيلهم له على الصدق .

وأحدث الاكتشافات الطبية تتحدث عن منافع الصدق

وأهمـيـة ممـارسـتـه ، وتأثيـر هذا كلـه على صـحـة الانسان ..

لقد ثبت أن الكذب يؤدى إلى المرض ..

لقد نشر الدكتور براد بلانتون الطبيب النفسى كتابا سماه «الصدق الجذرى» ، واثبت فـيه أن الاشـخاص الذين يعانون من أمراض لها عـلاقة بالتوتر على غرار القرحة أو الارق أو التهـابات القولون يكذبون أكثر من غيرهم ، أو يتهربون من قول الحـقيقة ، وأثبت الطبيب الامريكى فى الحالات التى درسها وضمنها فى كتابه ، أن كثيرا من الأشخاص لا يربطون بين الكذب وحالتهم الجسدية ، ولكن تراكم الأكـاذيب واستمـرارها يؤثر بالسلب على الحالة الصحية للانسان ..

وتدور فكرة الكتاب على اسـاس أن الانسان مخلوق مهيأ للصدق ، فـإذا اضطر إلى الكذب ، تغيرت كهرباء المخ، وتغيرت ذبذباته ، وتغيرت بالتالى كيمياء الجسم..

ومع تغيـير كيميـاء الجسم يصبح الانسـان عرضة لأمراض التوتر والتهابات القولون والقرحة ..

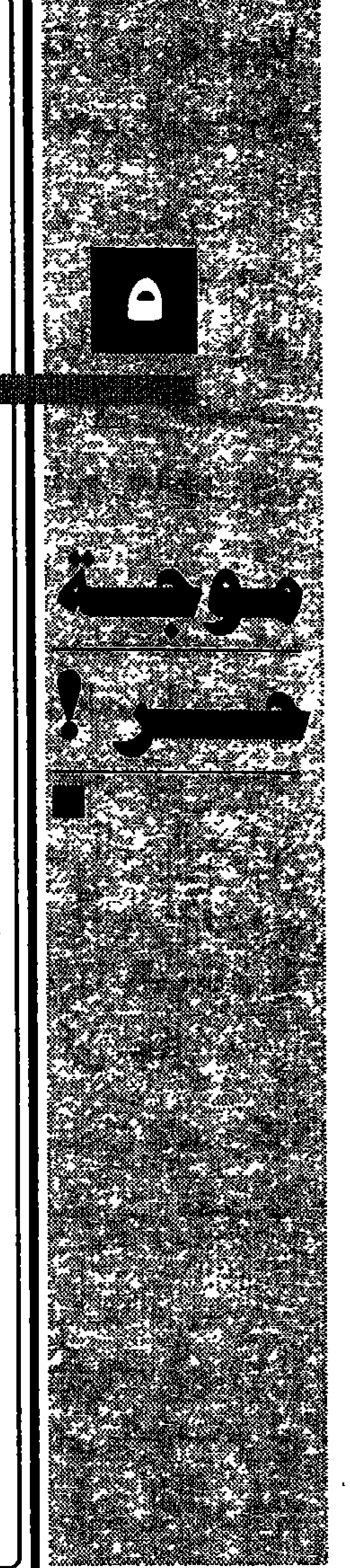
من هنا يدعو الدكتور بلانتون إلى عدم التستر على الحقيـقة تفاديا لجرح مشـاعر الناس .. لأن هذا يؤدى مع مرور الوقت إلى مرض الانسان ذاته ..

وقد اثـار الكتاب ضـجـة ، كمـا أثار قبـولا بـقـدر

مـا أثار الشكوك ، وقـال أحـد العلمـاء النفـسـيين: إن الصدق قد يكون عاملا انانيا اكثر منه علاجا ، وكانت هذه حجـة المعارضين لفكرة الكتاب ، أمـا المؤيدون لها فقـد مثلهم د . هنـرى ايفنز طبيب الأمـراض النفسـية فى شيكاغو ، فـقد قال : عندما نكون غـير صادقين ، نشـعـر بـخـجل لاننا لسـنـا فى مـسـتـوى تطلـعـاتنا الشخصـية، كما نشـعر بالذنب لاننا نتجاهل مـا يمليه علينا ضميرنا»

وهذا كله يؤدى إلى تغيير فى كـيمياء المخ والجسم، ويؤدى إلى وقوع الانسان فى قبضة المرض ..

وهكذا يؤدى الكذب إلى المرض .



دنيا ..
بنت دنيا

الحـر والبرد آيتـان من آيات اللـه ، وجنـديان مـن جنـوده.. «وما يعلم جنود ربك إلا هو» ..

مـا الذى نـعنيـه بقــولنا أن الحر والبرد جنديان من جنود الله..

نحن نعنى انهـما لا يتـحركـان إلا بأمره ، ولا يخـضعـان إلا لمشيئـته ، ولا يـنـزلان إلا عـلـى ارادتـه .. أى أنهـمـا فى نهـاية الأمر مـن العبـيـد المأمورة التى خلقها الله بلا ارادة ولا اختيار..

والبرد كائن لطـيف رغم قسوته ، وهو يعتـبر من الكائنـات المحافظة ،

وهو ينتمى لعائلة الثلج وهى عائلة عريقة لها تقاليدها التى تستوجب أن يستقبلها الناس بالملابس الرسمية الكاملة ..

أما الصيف فهو كائن ثقيل الوطأة ، وهو ينحدر من عائلة الصهد التى يشتعل قلبها بالنار .. وهو فصل لا يعرف التقاليد ، إنما يدفع الناس إلى التخفف من ملابسهم حتى ليود المرء أن يخلع جلده لينجو من الحر، ولا نجاة هناك ولا أمل .

ولقد عشنا فى مصر - فى شبابنا - عشرات من فصول الصيف وفصول الشتاء، فلم يكن الصيف بهذه القسوة، ولا كان الشتاء بهذه البرودة، ويبدو أن تغييرا قد وقع فى غلاف الأرض فمالت الأرض إلى الحرارة التى يصعب مقاومتها ولا تطاق .. ولعل ثقب الأوزون هو المسئول عن هذا التغيير، ولعلها ذنوبنا الصناعية والطبيعية هى المسئولة عما حدث .. على أى حال ..

كان المصريون يعيشون فى حالهم حين تحركت موجة ساخنة من الحر من صحراء الكويت متجهة إلى مصر..

رفعت الموجة درجة الحرارة فى الكويت إلى ٦١ درجة مئوية ، وهى درجة تكفى لطهى الطعام لو وضع تحت الشمس نصف ساعة .. أما فى الظل فقد

بلغت الحرارة نصف درجة غليان الماء .. أى أنها وصلت إلى ٥٠ درجة مئوية ..

لم تصلنا هذه الدرجات فى مصر ، إنما وصلتنا وهى تنقص عشر درجات ، وهكذا بلغت الحرارة فى مصر ٤٠ درجة فى الظل ، ولقد كان يمكن احتمال هذه الدرجة لو كان الجو جافا .. ولكن نسبة الرطوبة ارتفعت يومئذ إلى ٧٠٪ بزيادة عن المعدلات العادية ٢٠٪ ..

وهكذا انطبق الحر على المصريين .. وأحس الناس انهم أمام بروفة للجحيم ..

أنشغل كل واحد بنفسه .. سقط كل انسان داخل ذاته وأصبح كل همه أن يعالج تنفسه وأن يضمن استمراره ، أصبح التنفس هواية محببة ، بعد أن كان شيئا لا اراديا لا يتكلف الانسان فيه جهدا ولا يحس به ..

وأنطبق الحر مع الرطوبة فأحس الناس انهم يسبحون فى عرقهم ، وتحول التنفس إلى مشكلة ..

وهرع كثير من الأغنياء والقادرين إلى المصايف هربا من الموجة الحارة ، واشتغلت مئات الآلاف من أجهزة التكييف وراحت تنفث هواءها الساخن فى الجو فزادته حرارة على حرارته ..

وهزمت الموجة الحارة كل الناس وامتدت انفاسها الملتهبة إلى القطط والكلاب فى الخرابات ، فاختفت القطط فى مداخل البيوت ، ووقف الكلاب فى الظل وقد تدلت ألسنتها من الحرارة ، وراحت تلهث وتجاهد الحرارة ..

وضحك صديقنا الحكيم حين شكونا له من الحر ، وقال وهو يمسح عرقه ـ ماذا سنصنع فى النار ، إذا كنا نعاين الآن كل هذا العذاب بسبب موجة حارة قادمة من الكويت ، كيف نتصرف فى الجحيم إذا اكتشفنا أن هذه الموجة التى كادت تزهق انفاسنا هى بالقياس إلى الجحيم طراوة ربيعية ناعمة ولطيفة ، قد نعثر اليوم على مهرب من الموجة الحارة، ولكن الجحيم ليس فيها مهرب.. لا شواطئ بحرية هناك ولا أجهزة تكييف، ولا بطيخ مثلج ، إنما هو حر يؤدى إلى حر أعظم منه. وقديما قال المشركون وهو يتناصحون: « لا تنفروا فى الحر » .. ورد عليهم الله بقوله تعالى: **﴿ قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يعلمون ﴾** .





قال لى صديق جاوز الستين من عمره

ـ ماذا جرى للدنيا هذه الأيام .. لماذا تجرى أيامها وتسرع كأنها فى سباق مع الزمن .. لقد ولدت بالامس ، وانا اليوم قد تجاوزت الستين ، لم احقق من احلامى شيئاً يذكر .. لا اتحدث عن احلامى المادية ، إنما اتحدث عن لون آخر من الاحلام المعنوية ..

كنت أحلم وانا فى العشرين أن اغير شكل الدنيا، ولكننى اليوم لا استطيع ان اغير مكان كرسى أو منضدة فى بيتنا ..

سكت قليلا وكأنه يستجمع شتات افكاره وعاد يقول

ـ هل تعرف بماذا أحس داخلى .. إننى أحس أن لصا قد نشلنى فى الاوتوبيس .. مازالت محفظتى فى جيبى ، ولكن عمرى ذاته هو الذى وقع عليه النشل .. لقد ضاع عمرى هباء .. لم احقق امانى الصعبة .. ولاحققت امانى السهلة .. وأنا أحس اننى أشبه لاعبا مهزوما فى كرة القدم ، ولكنه يلعب فى الوقت الضائع ..

وتفزعنى فكرة أن ما بقى من الوقت لم يعد كافيا لمحو عار الهزيمة أو اصلاح الموقف .. ما رأيك فيما أقول ؟

قلت له : لا تستسلم لليأس ، ولا تترك نفسك فريسة لتقدم السن .

إن تقدم الانسان فى العمر يسلمه احيانا لاحساس بانه قد أصبح زائدا في المكان ، وان وقت الفعل قد مضى ولم يعد باقيا سوى الحسرة على الماضى الذى ضاع هباء .. وهذا احساس يجب أن يحتشد له الانسان ويقاومه .

إن الحياة لا تستلزم سنا معينة لتبدأ فيه الأعمال العظيمة ، لقد كتب جوته أعظم أعماله فى الثمانين من

عمــره ، ورسم بيكاسو أعظم لـوحاته بعد الســتين من عمره ..

كنت استمع لرأى شاب فى إحدى الندوات ، وهالنى أن هذا الشــاب قـد قال مـثل مـقـالتك مع خـلاف فى التفاصيل ..

لقـد شكا من الدنيـا ، أو بتحـديد أكـثر من إيقـاع الحـيـاة السـريع الذى تتـوالى فـيـه الأيام والشــهـور والسنوات ، وشكا انه لم يحـقق احلامـه بعد ، وكـان صريـحـا حين سئـل عن احلامـه ، فقال انه لا يـعرف لنفســه احلامـا ، ولكنه اتفق مـعك فى أن الدنـيا قـد أفلتت من بين يديه وتسربت كحفنة من المياه ..

وحين حدثناه أن العمـر ما زال امامه فسيـحـا ممتدا قال تعـبيـرا غريبـا ، قال : انه يحس أن الدنيـا قطار تحرك حين وصل هو إلى المحطة ، وصـار من العبث أن يحاول اللحاق به ..

إذا اتفق الشيـوخ والشباب على أن الزمـان ينسحب من تحت أقـدامـهم ، وأنـه لم يعـد أمـامـهم أى دور ليلعـبوه فـهذا يعنى أن هناك خللا فى بنـية المجتـمع وفى الأسلوب الذى يعـمـل به ، إلى جـوار هذا الخلل فى الاحساس بالوقت ..

لا ننكر أن ايقـاع الحـيـاة قـد اسـرع فى السنوات

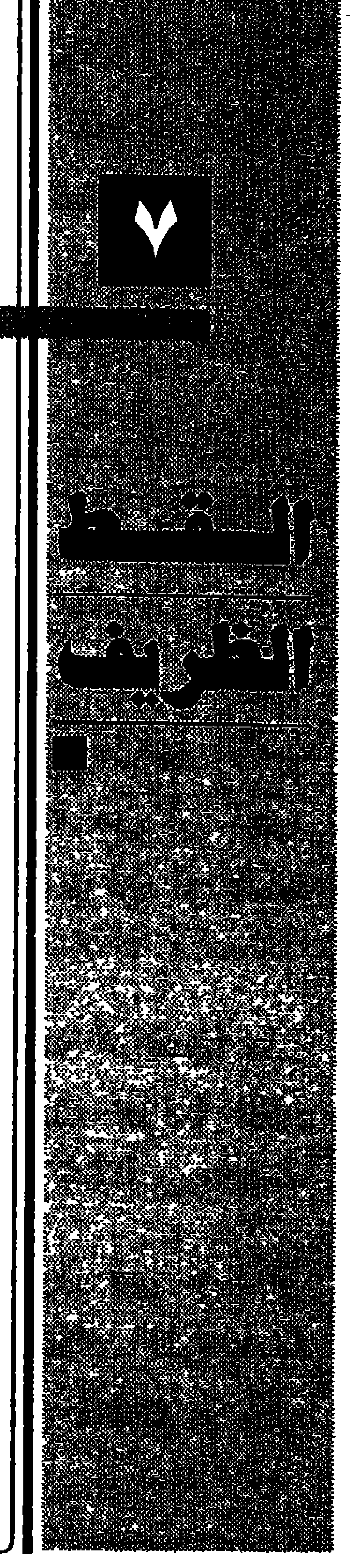
الأخيرة سـرعة مهولة ، ولا ننكر أن احـساسنا بالوقت قد بقى على حـاله .. إن تحويل المجتـمعات الزراعـية إلى مجتمعات صناعية ليس أمرا سهلا وإن كان ممكن التحقيق ..

إن الفلاح يرمي بذوره في الحـقل ثم ينتظر .. أياما أو شهـورا لينضج الزرع ، أما العـامل فيـعرف أنه لو انشغل باشعـال سيجارة فسـوف يتعطل الخط الكامل الذى يعمل فيه ، وسيؤدى هذا العطل لخسارة مادية .

أى أن الانتظار في الزراعـة حكمة ، بينمـا الانتظار فى الصناعة عبث يرقى إلى مرتبة المأساة ..

ومن المدهش اننا مازلنا نتصرف مع الصناعة بعقلية الزراعة وندير الحـياة بشكل يجـعل الشيوخ والشـباب يحـسون أن الأرض تـنسحب من تحـت أقدامـهم، وأن لا دور امامهم لادائه .





منذ ما يقرب من نصف قرن ، كانت هناك شخصية روائية شهيرة يقرأها الشباب ، هى شخصية اللص الظريف ارسين لوبين ، وقد صنع هذه الشخصية الكاتب الفرنسى موريس لبلان . هذه الأيام ، ظهرت شخصية جديدة هى القط الظريف .. وهى شخصية حقيقية لا روائية .. فالقط يعيش فى انجلترا فى قرية موزيل الساحلية الهادئة . ومثلما اشتهر ارسين لوبين منذ نصف قرن ، اشتهر هذا القط بنفس الصفة التى اشتهر بها ارسين لوبين .. وهى

الظرف واللصوصية ..

لماذا أعتبر ارسين لوبين ظريفا ؟ لأنه كان يسرق من الأغنياء ليعطى الفقراء ، كان ميزانا للعدالة اذن .. أما القط الظريف فقد أشتهر بصفة الظرف لسبب آخر..

إنه يسرق من الجيران ..

لا يسرق الطعام .. لأنه ارقى من أن يسرق الطعام، فهو قط غنى ميسور الحال تطعمه صاحبته بانتظام ، وتقدم له ما لذ وطاب من الأسماك واللحوم واللبن ..

المشكلة كلها أن هذا القط «لص ظريف» هو الآخر ، أنه يسرق اللعب والعرائس والدمى .. ويسرقها ليلعب بها ، ثم يهملها بعد فترة ولا مانع لديه من أن تعود إلى أصحابها سواء كانوا من أطفال الجيران أو قطط الجيران .

القط الظريف اسمه ألفى .. صاحبته اسمها بات سميث فى البداية ، لم تكتشف صاحبته هواية القط فى السرقة ..

كان القط يخرج من البيت ويتجول فى حدائق الجيران ويدخل بيوتهم من خلال الفتحات المروحية التى توجد فى اسفل الأبواب وتعين قططهم على الدخول والخروج ..

أستغل القط الظريف «الفى» هذه الفتحات فكان يدخل ويخرج منها مثلما تفعل قطط الجيران ..

وكان يعود فى كل مرة بغنيمة يخبئها عن عين صاحبته، ثم يظهرها فى اليوم التالى ويمارس هوايته فى اللعب بها ، ثم يرميها جانبا ..

كان الجيران فى البداية لا يلاحظون اختفاء هذه اللعب والدمى ، وكانوا يتصورون أن قططهم أو اطفالهم قد لعبوا بها ثم فقدوها ، ولكن اسرة تزور صاحبة القط الظريف عثرت ذات يوم على لعبة لأطفالها لم تكن تعرف أين ذهبت ..

وهكذا بدأت بات سميث تسمع من الجيران أن قطها يسرق لعب الأطفال ولعب القطط معا ..

وانكرت بات فى البداية ولكنها وضعت القط تحت الملاحظة فاكتشفت أن القط لص فعلا ..

وزادت شهرة القط حين اعترفت صاحبته بأنه لص، ووصل الخبر للصحافة فاسرع الصحفيون والمصورون يلتقطون للقط عشرات الصور ويجرون الأحاديث مع صاحبته ..

أعترفت صاحبته بأنها ربت قططا كثيرة فى حياتها وكانت قططا محترمة وفاضلة، أما «الفى» فهو أول قط من اللصوص تقوم بتربيته ..

دخل علماء النفس في الموضوع حين وجهوا اتهاما لصاحبته بانها لم تكن تشترى له ما يلزم من اللعب ..

واعترفت صاحبة القط أن القط قد عانى من الحرمان في طفولته ، واتفقت مع علماء النفس في النتيجة التي وصلوا إليها ، إن علماء النفس عادة يرجعون كل شئ إلى الطفولة ، وهو يرون أن حرمان هذا القط من اللعب هو الذى دفعه إلى السرقة والانتقام من مجتمعه بعد ذلك.

ذكرتني هذه الحكاية بقط كان عندي منذ سنوات ، كان قطا ينتمي للقط الظريف في هواية السرقة ، ولكن القط لم يكن يسرق من الجيران إنما كان يسرق ما اضعه من نقود على مكتبي .. ولقد حيرتني هذه الظاهرة فلم يكن في البيت أحد غيرى ، وراقبت القط فاكتشفت أنه يسرق النقود من فوق مكتبي ويخفيها تحت كرسي قديم في البيت .. وادهشتني هذه الحكاية.. وتساءلت بيني وبين نفسي .. لماذا يخبئ القط هذه النقود هنا .. هل ينوى صاحبنا أن يسافر في رحلة طويلة وهو يستعد لها بالادخار من الآن ..

٨

خداع النفس

دنيـــا ..
بنت دنيـــا

ليس هـناك - بين جـمـيع الخـلائق - من يسـتطيع خـداع نفسه كالانسان ..

إن الانســان قد يرى القـشة فى عـين أخـيــه ، ولا يرى الشـجـرة فى عـينـه هو ، حين القى القـبض على آل كـابونى ، وكان قـد سـاهم فى قـتل مــا يقـرب من الف شـخص خـلال المعـارك الدامـية بين عصابات المافيا .. حين وقع ذلك ابدى السـفـاح دهشـتـه من احـتـجـازه وتوقـيفـه، وقال - انا احب الاطفـال والزهور ولم افـعل شـرا .فى حيـاتى فلماذا يقبضون علىّ ..

هذه الكلمات تعبر - أدق تعبير - عن خداع المرء لنفسه ..

لقد نظر آل كابونى إلى منافسيه وخصومه ، واعتبر انهم عراقيل فى طريقه .. وبالتالى فلابد من التخلص منهم ، وبدأ فى ازاحتهم من طريقه كما يزيح الفلاح بعض الحشائش الضارة من حقله ، إنه لا يحس بتأنيب الضمير ، بل على العكس من ذلك يحس انه يؤدى عملا نافعا وصالحاً ..

انه يمهد حقله للزراعة ..

هذا الاحساس هو بعينه الاحساس الذى كان يحكم آل كابونى وكل زعماء العصابات وكل الطغاة فى الأرض على امتداد التاريخ ..

إنهم يحكمون على من ينافسهم أو يعارضهم أو يعترض طريقهم بأنه كمية من الزبالة ، وبالتالى ، فإن تنظيف الطريق منها عمل طيب ومطلوب ويثاب عليه المرء ..

فى نهايات الحرب العالمية الثانية كان الجنرال باولوس الالمانى الذى حارب الروس يمر بظروف بالغة الصعوبة ..

وكان الرجل ممزقا بين رغبته فى اطاعة أوامر الفوهرر المجنون ، والتزامه بانقاذ جنوده الباقين من

الابادة على ايدى القوات الروسية ..

وأبرق الفريق فون باولوس يوم ٢٤ كانون الثانى برسالة من الراديو إلى هتلر هذا نصها :

«بات الجنود بلا عتاد أو طعام ، لم تعد القيادة الفعالة ممكنة ، عندى ١٨ ألفاً من الجرحى دون طعام أو دواء أو اربطة شاش .. بات الدفاع مدة أطول لا معنى له .. أصبح الانهيار محتوما .. يطلب الجيش الإذن الفورى بالاستسلام لانقاذ أرواح من تبقى من الجنود ..»

كان رد هتلر عليه كما حفظته وثائق الحرب :

ـ أمنعكم من الاستسلام .. على الجيش السادس أن يحافظ على مواقعه حتى الرجل الأخير والطلقة الأخيرة.. وستساهمون بصبركم البطولى اسهاما لا ينسى فى اقامة جبهة دفاعية وانقاذ العالم الغربى»

وحاول الفريق فون باولوس مرة اخرى ان يحصل على اذن من الفوهرر بالاستسلام وانقاذ حياة ما بقى من جنوده ، ولكن هتلر رفض ، ثم تفتق ذهنه عن الانعام على الفريق فون باولوس برتبة المشير ، وقال فى تبرير ذلك ليودل .

ـ لم يحدث قط فى تاريخ ألمانيا العسكرى أن أسر قائد برتبة المشير ..

ورغم هذه الرتبة استسلم المشير فون باولوس اخيرا بعد أن فقد ٢٠٠ الف جندى ، وجرح ما يقرب من ٨٥ الف جندى .. وتحول الجيش السادس إلى اشباح تحجل فوق الثلج وهى ملطخة بالدماء وجائعة وترتعش فى درجة حرارة ٢٥ تحت الصفر .

كان رد فعل هتلر يؤكد وقوعه فى مصيدة خداع النفس ، لقد كان يتصور أن على الرجل أن يقتل نفسه بعد أن يستنفد طلقاته فى صدر العدو ، ثم تبقى معه طلقة واحدة ينهى بها حياته . من أجل مجد المانيا وكرامة الفوهرر .

وقال هتلر : لماذا لم يقتل نفسه ؟ لماذا لا يلقى بنفسه على سيفه عندما يخسر الحرب كما فعل القادة القدامى ، لقد أصدر فاروس (البطل اليونانى) أمره لعبده فقال له : والآن اقتلنى .. إن ما يؤلمنى شخصيا أننى رفعته إلى رتبة المشير ..

هذه صورة من صور خداع النفس فى التاريخ .

ونحن نعيش فى أيامنا صورة أخرى من صور خداع النفس ، وهى صورة تمارسها اسرائيل مع الفلسطينيين ، إنها تراهم مجموعة من الحشائش الضارة التى يجب أن تقتلع ..

٩
نداء الأرض

كنا مجموعة من الأصدقاء اجتمعنا فى بيت واحد منا على كوب من الشاى وقطعة من الحلوى .. فى البداية وقفنا على الاطلال كعادة الشعراء القدامى حين كانوا يفتتحون قصائدهم بالوقوف على الأطلال والبكاء لذكرى الحبيبة التى رحلت وصارت خيامها سرابا..

أما اطلالنا المشتركة فكانت هى الشكوى من الأوضاع العامة والخاصة ، ومضى كل واحد فينا يتحدث ناقدا أو شاكيا دون أن يعرض حلا أو شبه حل لما يشكو منه أو ينتقده .

تســاءل أحــدنا : مــا هو الحل فى المشــاكل التى اثيرت؟

رد أحدنا ردا ساخرا فقال : لم نعد نواجه المشاكل، أن المشاكل بعد فترة زمنية تتحول عدة تحولات .. فى البداية تكون مشاكل قابلة للحل ، ثم بـعد فترة تتحول إلى مـشاكل مـزمنة ، فاذا مـر عليـها الوقت صـارت مشاكـل مستحـيلة .. والمشاكل المستحـيلة لا تقلق احدا لأنها مستحيلة وغير قابلة للحل ، وبالتالى فلا مشاكل فيها .. وبهذا الأسلوب الجديد المبتكر نحل مشاكلنا ..

بعد وقـوفنا على أطلال المشاكل دلفنا إلى مـوضوع المهاجرين المصريين والعرب الذين يخرجون من بلادهم للعـمل فى أمريكا أو أوربا ويضـيعـون زهرة شبـابهم فيـها ، فإذا أدركتـهم الشيخـوخة انشب الحنين للوطن أظافره فى قلوبهم فعادوا مسرعين .

كان الحديث مضحكا ولكنه ضحك كالبكاء .

حكى أحدنا قـصة استاذ مـصرى يعتبـر من العلماء النابغين الذين سافروا إلى أمريكا منذ سنوات ..

كـان هذا الـعـالم المصـرى مـن ابناء الصـعـيـد ، والمعروف عن الصعايدة انهم ينتمون فكريا للمحافظين، والمرأة فى الصعيـد الجوانى تخرج مرتين من بيـتها ..

مرة لتذهب إلى بيت زوجها ، والمرة الثانية لتذهب إلى مقبرتها بعد موتها ..

سافـر صاحـبنا مع زوجتـه وكانت قريـبة له ومن الصعيد، وانهمك العالم فى عمله وانجب ولدا ثم انجب بعـده بنتين ،.. وفى غمـرة انشـغاله بعـمله راح ابناؤه يكبرون فى أمريكا ..

تعلمـوا اللغة الانجليـزية قـبل أن يتعلمـوا العربيـة، وكان نطقهم للعربية يـشبه نطق الخواجات ، ولم يكن هناك مسجد فى البلدة التى يعيـشون فيها فلم يذهبوا إلى المسجد ..

ورغم أن العـالم المصـرى حـرص كل عـام على أن يقـضى الاجازة فى مـصر ليـتعلم ابناؤه الدين واللـغة العربيـة ، إلا أن الأولاد لم يكونوا يتـحمسـون كثـيرا لفكرة الاجازة فى مصر ، وفضلوا عليـها السياحة فى أوربا ..

وذات يوم وقع حـوار بين الأب الصـعيـدى وابنتـه الأمريكية ..

قال الأب : أمس تأخرت فى العـودة إلى البيت حتى الثالثة صباحا .

قـالت البنت : كنـت أحـضـر بارتى مع صـديق لى وتأخرنا فى الحفل .

أرتد الأب إلى الصـعـيد الجـوانى فى ثوان وصـرخ فيـها فقالـت له البنت بعد تطور الحوار أن مـا تفعله ليس من شأنه .. وأنها ليست صغيرة ولم تعد طفلة..

فى اليوم التالى كان الأب يحـزم حقائبه عائدا إلى مصر ، ترك امريكا فى مرحلة هامة من حياته العملية، ولم يتساءل مـاذا سيفعل فى مـصر ، المهم انه عاد .. ويعـود مثله كـثيرون لهـذا السـبب ، وهناك اسبـاب اخرى، من اطرفها ما قـاله صديق فى الجلسة ، قال : إن واحدا من الشباب الناجح فى أوربا حين اقترب من الخمسين قرر العودة إلى مصر ..

قال اصدقاؤه لماذا .. قـال بمنتهى الهدوء : أريد أن أدفن فى مـصـر إذا مت ، إن تصـور مـوتى فى بلاد الغـربة يملؤنى بالرعب .. ومضـينا نتسـاءل عن الذين يعودون فجأة وأسباب عودتهم ، ولم نتفق على شئ ، وإن قـال أحدنا إنه نداء الأرض .. إن الذين ينحـدرون من أصـلاب الفلاحين ينزعـجون كـثيـرا إذا دفنوا فى أرض غريبة .

١٠

بـــلا نقود ..

كثيرا مـا أسير كالملوك دون نقود فى جيبى ..

ولست اعرف من أين تعلمت هذه العـادة الملكيـة .. وأغلب الظن اننى تعودتها بسبب الشـهرة وبسبب الغرور ايضا لا أنكر..

كنت أقـول لنفسى : إن معى سيارتى وهى تمتلئ بالبنزين ، وأنا ذاهب إلى الجـريدة ، فى جيبى علبة السجاير والولاعة ، وسوف تحاسب سكرتيرتى على فناجين القهوة التى أشربها ثم تقدم إلىّ الحساب فى نهاية الأسبوع..

ما حاجتى إلى النقود اذن ؟

وأحيانا أخرى كنت أنسى أن أضع بعض النقود فى جيبى ، ولقد ساعدنى على ذلك اننى لا أملك محفظة جلدية أضع فيها النقود ، ورغم أن اصدقائى كانوا يهدون إلى فى المناسبات هذه المحفظة الجلدية إلا إننى كنت أتأملها معجبا وأسأل هل هى جلد ثعبان أو جلد تمساح ثم أضعها فى علبتها ولا استخدمها .. فإذا جاءت مناسبة سعيدة لأحد اصدقائى وحرت ماذا أحمل اليه كهدية ، تذكرت المحفظة وأهديتها إليه .. ويحدث أحيانا أن يكتشف الصديق الذى أهديته إليه المحفظة أن هذه المحفظة هى هديته لى فى مناسبة سابقة .. وكثيرا ما يخجل الصديق من الإشارة لهذا ، وأحيانا يحدثنى الصديق أن هذه هى هديته إلى منذ فترة .. فإذا تجاوز أسوار الخجل وتكلم قلت له :

- لقد أسعدت قلبى بهديتك ، وها انذا أسعد قلبك بنفس الهدية .. والحقيقة أننى تأملت كراهيتى لحمل محفظة للنقود وحاولت أن أعرف لماذا لا أحمل محفظة..

أيكون السبب هو موقفى من النقود وكراهيتى لها..

إننى اتحدث عن النقود بكراهية واضحة واحتقار بالغ ، ولكننى فى حقيقة الأمر لا أنكر اننى أحبها ..

ولكنه حب مبطن بالكراهية ..

لقد علمـونا فى المدارس كيف نحتـرم القيم ونراعى الأخلاق ونهـتم بالمثل العليا ، وأفـهمونـا أن هذه القيم الأخلاقـية هى أهم شئ فى الوجـود .. ولكن أحدا فى المدرســة لم يعلمنا كـيف نحصل علـى النقود .. فلمـا شـبـبنا عن الطوق وخـرجنا من المدرســة إلى الحـيـاة أكتشفنا أنهم أغفلوا تعليمنا أهم شئ فى الوجود ..

إن انفاق النقود سـهل ، والصعب هو الحصول عليها وتجـمـيع بشكل يؤدى إلى تراكـمـهـا .. وهذا شئ لم يعلمه لنا أحد ..

لقـد درج الآباء والأمـهات علـى تعليم ابنائهم كـيف ينفقون النقود ، ولكن أحـدا لم يعلمهم كيف يحصلون عليهـا .. وهذه ثغرة تعلـيميـة لم ينتبـه إليهـا أحد من رجال التـربية والتـعليم ، وهى ثغرة نرجـو من القرن الواحد والعشرين أن ينتبه إليها ويسدها .

قلت إننى لا أحـمل محـفظة فى جيـبى ، كمـا أننى لا احتفظ أكثـر من ساعات بأى نقود تصل إلى يدى ، ولهـذين السـببين لم يسـرقنى أحـد ، إننى أسـمع من أصدقائى قصصا عن ركوبهم الأوتوبيس وكيف نشلهم لص خفيف اليد فلم يشعروا بما حدث ، وأكتشفوا فى بيوتهم أنهم تعرضوا للسـرقة .. حين أسمع أمثال هذه

القصص أحسد نفسي على ذكائى ، فطوال عمرى لم يسرقنى أحد ، لأننى لا أملك محفظة ولا أملك نقودا يمكن أن تقع عليها السرقة ..

وهذه هى ميزة الاسراف رغم كل عيوبه .. ولقد قرأت ذات يوم كتابا يقول «كيف تصبح مليونيرا» فلما انتهيت منه أدركت اننى لن أصبح مليونيرا لأن المواهب المطلوبة فى المليونير ليست متوفرة عندى بالمرة ، وهكذا اسقطت الفكرة كلها من رأسى واستبعدتها تماما ، وبقى العزاء الوحيد فى الجنة فهى المكان الذى لا يتعامل فيه الناس بالنقود .

١١

جثمان لينين

خضعت البشرية - خلال مسيرتها التاريخية - لكثير من صور الانحراف العقلى أو الانتكاس العقلى ، فعبدت بين ما عبدت الصخور والأشجار والحيوان والنبات .. والذهب والبشر.

وكانت العبادة الغالبة على هذا كله هى عبادة الفرد ، الحاكم المتسلط أو الملك الاله ..

فى عصور الفراعنة السحيقة كان الملك الاله هو الرب المسيطر على بقية الالهة المعبودة ، وهو الحكم النهائى الذى يفصل فى خلافات البشر مع الالهة الأخرى

والمعروف أن الباطل لا يعلن عن عواره بصراحة ، ولا يخرج بباطله على الناس دون زينه .. إنما هو يتجمل ويتزين ويرتدى أقنعة كثيرة تخفى باطله .

من هنا كان الحاكم المستبد أو الفرد المطلق يبرر سلطانه بهذه الأساطير التى يرويها البلاط عن دمه النبيل الأزرق ، وطينته البشرية الممتازة ، ومواهبه التى لامثيل لها ، وعظمته ورجاحة عقله ..

ولقد كان الظن أن الاستبداد بالحكم ظاهرة تاريخية قديمة ، وأن هذه الظاهرة لا مكان لها فى عصرنا ولا موضع لها فى القرون الأخيرة ، ولكن هذا الظن ظل ظنا كما هو .. واكتشفنا من مسيرة التاريخ أن عصرنا رغم تقدمه فى العلوم يمكن أن يغذى عبادة الفرد ويمكن أن يسندها ويقدم لها المبررات التى تعينها على الاستئثار بالسلطة والبقاء فى الحكم ..

والدليل على ذلك الثورة البلشفية فى روسيا ، وهى ثورة رفعت من قدر لينين وماركس . وبالغت فى ذلك حتى وصلت إلى حد التأليه والعبادة ..

وقبل أن ينهار الاتحاد السوفيتى ويتفكك ، كان الزائر لموسكو يرى صورا وتماثيلا لماركس ولينين ..

وكانت صور لينين تغطى بنايات ترتفع عشرين

دورا أو ثلاثين وحين مات لينين تم تحنيط جثته ووضعت فى الساحة الحمراء قرب الكرملين فى موسكو .. وأصبحت الجثة مزارا يقصده الروس ويطوفون حوله . ورغم أن اكرام الميت - فى معظم الشرائع - يتمثل فى دفنه ، إلا أن الروس خرجوا على هذه الشرائع واستبقى جسد لينين فى مزاره الشهير كما هو ..

بعد سقوط الاتحاد السوفيتى وتفككه اقترح البعض دفن لينين بجوار والدته فى مدينة سانت بطرسبورج ، ولكن هذا الاقتراح رفض دون مناقشة ، ثم عاد يلتسين منذ فترة لنفس الاقتراح ، وتم عرض الأمر على مجلس النواب الروسى ليقول ممثلو الشعب رأيهم فيه ، وكانت النتيجة مدهشة ، فقد قرر ٢٤١ نائبا أن يظل لينين فى مكانه ، وأوصى ١١ نائبا بدفنه ، وقبل التصويت وقعت سلسلة من النداءات وجهها عديد من النواب لمنع العمل التخريبى الذى يهدف إلى دفن جثمان الأب الروحى والعملى للثورة البلشفية ..

وهكذا انتصرت فكرة عبادة الفرد ، وظل لينين فى مكانه بالساحة الحمراء ..

لم يقتصر الأمر على هذا فحسب ، إنما أعلن العالم الروسى الذى أشرف على تحنيط جثة لينين أن

استنساخ الزعيم السوفيتي لينين أمر ممكن ، ومضى البروفيسير فاليرى بيكوف مدير المعهد الروسى للدراسات البيولوجية يقول : إن خلايا لينين الوراثية محفوظة وليس هناك ما يمنع من استنساخه .. وهكذا بالغ الروس فى تمجيد الفرد وتأليهه إلى الحد الذى يريدون فيه عمل نسخة أخرى منه ..

يحدث هذا كله بعد أن ثبت للروس قبل غيرهم خطأ النظرية الشيوعية وخطأ تطبيقاتها التى قادت إلى انهيار الاقتصاد والسياسة والمجتمع ..

ويبدو أن عبادة الفرد تطمس البصيرة فلا يرى الانسان الحقيقة ويظل أسير الأساطير الوثنية والأوهام، ومن ثم يكرر خطأه مرة ومرتين والف مرة، دون أن يحس أنه يخطئ فى كل مرة .

١٢

الناس والبغال

قبل أن تتطور الحروب إلى حرب الازرار والكمبيوتر والتليفزيون كانت الحرب تعتمد على الحيوانات التى تجر المدافع والمنجنيقات ..

وقد لعبت البغال دورها فى هذه الحروب ..

كانت البغال هى التى تجر المدافع الثقيلة وتصعد بها الجبال وتهبط بها السهول ..

وكانت البغال تتأذى من أصوات المدافع وتضطرب اضطرابا يدفعها إلى الجرى كيفما اتفق ، أو يدفعها لالقاء نفسها من فوق قمم الجبال الشاهقة..

وراحت الجيوش تبحث عن محاولة لسد هذه الثغرة وتهدئة البغـال حتى لا تحـدث اضطرابا فى صفـوف العسكر ..

وكـان أفضل حـل لذلك هو الكوكـايين ، كـانوا يشمـمون البـغال هذا المخدر الذى يثـبت أقدامـها فى مـيادين المعـارك ويجـعلها لا تبـالى بأصـوات انفجـار القنابل أو اطلاق المدافع ..

يمكن القول إذن أن أول من استخدم الكوكايين كان هو البـغـال ، ثم مـر الوقـت وتطور أسلوب الحـرب وأحيلت البغال إلى الاستيداع ولم تعد تلعب دورها فى المعارك ..

وكان المفروض أن يدخل الكوكـايين إلى المتحف مع البـغال ، ولكن المدهـش أنه تحـول من تثـبـيت البغـال وصار هواية للبشر ..

ولقد كـان اكتشـاف المخدرات سبـبا فى تطور علم الجراحة ، إذ يستطيع طبـيب التخدير أن يخدر المريض الذى ينتظر اجـراء جـراحـة تخـديـرا يجـعله لا يحس بالالم..

وقديمـا كانت الجراحـة تعتـمد على ضـرب المريض على رأسه لكى يصـيـبه الاغماء أو محاولة تغـيـيبه عن الواقع بشرب شئ يفقده وعيـه .. وكان احيانا يقومون بتقـييد المريض وتكتـيفه حـتى لا يتحرك اثناء العـملية

الجراحية ويفسد هدف الطبيب .. ولكن هذا كله انتهى الآن .. وإذا كانت المخدرات نعمة فى عالم الطب والجراحة ، فإنها بنفس القدر نقمة خارج هذا الاطار .

لقد صارت المخدرات فى عالمنا اليوم خطرا حقيقيا يهدد صحة الانسان ويهدد اعصابه كما يهدد المجتمع فى الصميم ..

من هنا كان هاجس الرؤساء وعلماء الاجتماع والصمت هو التصدى لهذه المشكلة بكل أبعادها وآثارها المدمرة ..

ويختلف تأثير المخدرات حسب نوعيتها ، هناك مخدرات تعتبر فى الوسط الطبى مهدئات ، مثل نبات القنب الهندى المعروف باسم الحشيش ، وهو نبات يؤدى للاعتياد عليه ، ولكن علاجه ليس صعبا مثل المخدرات البيضاء أو السموم البيضاء كالهيروين والكوكايين .

فهذه هى المخدرات التى تؤدى للإدمان ، وتؤثر على الجهاز العصبى للانسان وتفتك به فى نهاية الأمر، وتحوله إلى خرقة لا نفع فيها ولا رجاء منها . فى أحدث تقرير عن انتاج واستهلاك المخدرات فى العالم يذكر المركز الجيوبوليتيكى الأوربى أن المساحة المخصصة لزراعة مخدر الكوكايين فى انحاء العالم تبلغ ٢٥٠ الف هكتار وأن الانتاج السنوى من هذا

المخـــدر يتـراوح بين ١١٠٠ طـن و ١٢٠٠ طن ، يتم انتاج ربعها فى دول امـريكا اللاتينية ، وتستهلك دول أوربا ربع هذه الكمية ..

ويشـيـر التقـرير إلى وجـود نصف مليـون مـدمن لمخـدر الكوكـايين ، وتأتى اسـبـانيـا على رأس الدول المستـهلكة للكوكايـين تليها بريطـانيا ثم ايطاليـا والمانيا وفرنسا .

ويتحدث التقرير عن كميات مخدر الكوكايين التى تم ضبطها عـلى الحدود الاوربية سنة ١٩٩٤ فيـقول انها بلغت ٢٩ طنـا ، كـمـا يلاحظ التـقـريـر أن كـمـيـات الهيـروين المضبوطة تتـصاعد كل عـام ، وبذلك يصبح الكوكايين هو الهـاجس الأول للحكومة الأمريكيـة حيث يبلغ الاســتـهـلاك السنوى منه حـوالى ٣٠٠ طن يأتى معظمها من دول امريكا اللاتينية .

باختصـــار .. يمكن القول أن ابناء الحضارة الـغربية قد صـاروا ينافسون البغال فى استهلاك الهيروين .

لقد ذهب عـهد البغـال الحيوانية وجـاء عهد البـغال البشرية .

دنيـــــا ..
بنـت دنيـــــا

١٢

جميلة ولكن

الجمال نعمة أنعم الله بها على الناس ، وفتنة يمتحنهم بها فى نفس الوقت وكثيرا ما يدفع الجمال إلى الكبرياء والغرور ، فإذا المرأة الجميلة تتيه على غيرها من النساء والرجال .

ومثلما قيل أن النقود تتكلم بغير كلام ، وتفرض نفسها حيثما حلت أو ارتحلت ، فكذلك ينطبق هذا المثل على الجمال ، إنه يفرض نفسه بغير كلام.. ولا يحتاج إلى من يقدمه فى المحافل ..

والجمال البسيط عادة يتصل بالشكل ويقتصر عليه ، والويل لمن

ينخـدع بهـذا الشكل ولا يعـرف العـذاب الذى ينطوى عليه المضمون أو الجوهر ..

ويبحث الناس عادة عن جمـال الشكل متصورين أو مفترضين أن الباطن هو الآخر جميل ، ثم يمر الوقت ، ويفـســر الشـكل عن تناقض مع البـاطـن وتبـدأ رحلة العذاب ..

كنت أزور أحد أصـدقائى من القضاه فى مكتـبه .. قلت له :

- على بابك امـرأة شديدة الجمـال .. هل تحكم فى القضايا أم مسابقات الجمال ..

قـال وهو يضحك : لو سـمـعت هذه المرأة تتحـدث لفكرت فى القائها من الشباك .. لقد خدعك المظهر.. إن زوجهـا طريح المسـتشفـى بعد أن ضـربته ضربـا كاد يفضى إلى موته ..

الجمال إذن فتنة

وفى التاريخ نماذج من فتنة الرجال بالنساء ، وفتنة النسـاء بالرجـال ، ولعل قـصة سـيدنا يوسف عليـه السلام خـير نموذج لفتنة النساء بالرجـال ، وهى فتنة كانت ثمارها المريرة دخـول نبى كريم إلى السجن لانه رفض الغواية ، وتمسك بدينه وقيمه ، ودفع الثمن من حريته وأمنه وسلامه ..

والجمال مسألة نسبية بحتة ..

إن ما يبدو جميلا فى عصر ، قد لا يبدو كذلك فى عصر آخر ، وما يبدو جميلا عند شعب من الشعوب لا يبدو كذلك عند شعب آخر ، والمسألة هنا مسألة ذوق بحت ..

إن نساء أوربا النحيفات يعتبرن فى الغرب جميلات، أما فى الشرق فإن الذوق يتغير ، وكلما زاد امتلاء المرأة كان هذا سببا من أسباب جمالها وقبولها عند الرجال ..

وقديما كان الشاعر العربى يتغنى بالمرأة التى تتحرك بصعوبة ، ويرى الجمال فى نؤوم الضحى ، ويصف المرأة بقوله :

غراء فرعاء مصقول عوارضها

تمشى الهوينى كما يمشى الوجى الوحل

والشاعر يصف امرأة ضخمة الانحاء ممتدة الأركان، وهى تمشى ببطء لأنها تحمل عشرات الارطال من اللحم والشحم ، ولابد بالتالى ان تمشى بحذر احتراما لوزنها الثقيل ..

ولقد جاء عصر على الناس كانت مقاييس الجسد الاغريقى هى المقاييس المثالية ، وكانت فينوس هى

المثل الأعلى للجمال الأنثوى ، ولكن عارضة أزياء فى العصر الحديث سئلت عن رأيها فى مقاييس فينوس فقالت - إنها تحتاج إلى رجيم قاس حتى تفقد ثلث وزنها ، بعد ذلك يمكن النظر فى أمر جمالها من عدمه..

وتلعب الألوان والأضواء دورها فى تحديد اختيار الناس فيما يمكن اعتباره جميلا ، هناك من يفضل المرأة الشقراء الملونة ، بعينيها الزرقاوين وشعرها الأصفر وجلدها الوردى، وهناك من يفضل السمراء بشعرها الأسود وبشرتها الخمرية ..

وأيا كان لون المرأة فإن مصانع التجميل بكل ما تقدمه من مساحيق وألوان وعطور للمرأة ، تكسب ما يقترب كثيرا من مصانع السلاح وبعد أن كان الجمال مسألة فردية ، صار اليوم فنا له خبراؤه ، وتجارة لها رؤوس أموالها ، وصناعة ثقيلة .. أما الجمال الداخلى فما أقل انصاره ومريديه !

١٤

مرعبات الحياة

منذ سنوات ، كنت فى إحدى عواصم أوربا .. وكنت مدعوا لمؤتمر أدبى ، وبمحض المصادفة .. كان هناك مؤتمرا علميا يعقد فى فندق مجاور للفندق الذى ينعقد فيه مؤتمرنا ..

وفكرت ذات يوم أن أحضر جلسة فى المؤتمر العلمى من باب الملل ومحاولة التغيير ..

كان مؤتمرنا الأدبى يجترون أفكارا سبق مضغها منذ سنوات ، ولا زال الأدباء يعاودون الرجوع إليها كلما اجتمعوا ..

المهم اننى حضرت جلسة فى المؤتمر العلمى .. كان المؤتمر يتناول مخاطر الاشعاع النووى .. وفى الجلسة التى حضرتها تحدث واحد من العلماء عن مخاطر التسرب النووى النابع من القوى القاهرة .. كالزلازل مثلا ..

ومضى الرجل يفترض حدوث زلزال يقع فى مساره مفاعل نووى ، وراح يتحدث عن امكانية شق الأرض وانهيار المفاعل وتسرب الاشعاعات المهلكة إلى المنطقة المحيطة بالمفاعل ، وإلى مناطق أخرى قد تبعد عنه آلاف الأميال، كانت الصور التى يرسمها العالم النووى مخيفة ، وقد غادرت مكانى بعد سماع البحث وقلت لنفسى : إذا كان المؤتمرالأدبى مملا فهو على أقل تقدير ليس مخيفا كالمؤتمر العلمى ..

كان هذا منذ أكثر من عشر سنوات ، ولم يكن المفاعل النووى الروسى تشرنوبيل قد آل للسقوط بعد، ولم يكن هناك من يتصور أنه سيفعل ، بعد المأساة التى وقعت فى تشرنوبيل وضع العالم يده على قلبه من امكانية تكرار الحدث المؤسف ..

ولعل تلوث الهواء بالاشعاعات الذرية هو أول مرعبات الحياة فى عصرنا ، لأن الاشعاعات النووية شئ غير مرئى بالعين المجردة ، مثلما أنها شئ خارج

عن التحكم البشرى إذا تسربت من المعامل أو المفاعلات ..

إن الاشعاعات تصعد ، وتختلط بالسحب ، ثم تحرك الرياح السحب القاتلة نحو أرض مجهولة حيث تسقط الأمطار فوقها ، ومن هذه الأمطار تشرب الأرض بما عليها من حيوان ونبات وانسان ..

ويأكل الانسان لقمة خبزه المغموسة فى السم فلا يعرف أنه أكل السم ، والمخيف فى هذا كله ، أن آثار هذه اللقمة السامة لا تظهر إلا بعد عشرات السنين ..

وهى تظهر كارتفاع فى نسبة الاصابة بالسرطان ، أو تظهر على شكل فشل فى اداء وظايف الكبد أو الكلية .. إلى آخر أنواع الأمراض التى ظهرت فى عصرنا ..

ويأتى بعد تلوث الهواء تلوث المياه ، لقد أجرت الدول النووية فى الخمسين سنة الماضية مئات التفجيرات النووية فى مياه المحيط والبحار ، وهى تفجيرات تؤثر فى الاسماك وتؤثر بالتالى فيمن يأكلها تاثيرا لا يظهر إلا بعد عشرات السنين ..

أيضا يؤدى دفن النفايات النووية فى الأرض إلى التأثير على المياه الجوفية ، وهو تأثير تمتد آثاره سنوات يصعب التنبؤ بها أو مواجهتها أو السيطرة عليها ..

أى أن الهواء يتلوث ، والبحار والانهار تلقى نفس المصير ، وتلحق بهذا كله المياه الجوفية ..

أين يذهب انسان هذا العصر البائس الذى تحاصره مرعبات الحياة ؟

إن مشكلة الدول المتقدمة قد تكون أقل فداحة من مشكلة الدول النامية أو المتخلفة .. فهذه الدول الأخيرة تقف كالأطرش فى الزفة ، ولا تعرف لها رأسا من قدم ، ولا تعرف كيف تواجه هذا الخطر الذى أفرزه تقدم العلوم والاكتشافات وتوجيهها لصناعة سلاح لا يمكن استخدامه ، لأنه سلاح ذو حدين .. إنه يوجه لخصمك ضربة قاتلة الآن ، ولكنه يوجه إليك فيما بعد ضربة قاتلة ..

لقد كشفت التكنولوجيا النووية أنها تكنولوجيا غير مأمونة العواقب ، ورغم ذلك .. ما زال العالم يستخدمها دون أدنى احساس بالمسئولية .

١٥

تقـديس الأشخاص

من نـوازع الفـطرة الـتى لا ضـرر فـيـهـا أن يمـتلئ المرء اعجابا بما يملكه الغير من مزايا ومواهب ..

وهذا الاعجاب قد يترجم عن نفـسه فى المديح أو المجـاملة ، غيـر أن هناك خـيطا رفـيعـا بين المجـاملة والنفاق ..

والنفاق صناعة قديمة من صناعات الشـرق ، بـرع فـيـهـا اتبـاع الملوك والـحكام القدامى كما برع فـيها اتباع الـحكام المحدثين ..

سنة ٣٢٠٠ قبل المـيلاد نجح الملك

مينا نارمر أن يغزو الدلتا قادما من الجنوب ، فلما انتهى من الغزو منتصرا وضم الدلتا إلى الجنوب لبس تاج الوجهين ، وأسرع اتباعه ينافقونه باوصاف صارت فيما بعد اسماؤه .. فهو رب الوحدة وراعيها وحاكم القطرين وصاحب التاجين ، الذى يدبر الأمور من قصره الكبير .. بما فيه خير الجميع ..

ويمكن القول أن تقديس الأشخاص قد بدأ فى مصر منذ هذا التاريخ ، أى منذ أكثر من خمسة آلاف سنة.. ولكن تقديس الأشخاص بدأ قبل ذلك مع بداية البشرية، فى عصر نوح عليه السلام كان هناك خمسة أصنام تعبد فى المدينة هى « ود » و « سواع » و « يغوث » و « يعوق » و « نسرى » ..

هذه الأصنام كانت قبل ذلك بشرا يعجب الناس بمواهبه ومزاياه ، ثم تحول الاعجاب إلى افتتان ثم تحول الافتتان إلى تقديس .. وجاء الابناء وساروا على نهج الآباء فى الضلال ومع مرور الوقت استقر فى وعى الناس أن هذه التماثيل الهه تضر وتنفع ..

وهذه هى النتيجة المأساوية لتقديس الاشخاص كما تحدثنا عبرة التاريخ ..

ولعل النموذج الكلاسيكى لتقديس الاشخاص وعبادة الملوك كان هو النموذج الذى قدمه فرعون موسى ..

لقد كان فرعـون هو الملك الاله .. ونحسب أنه كان فـيمـا بينه وبين نفـسه يعـرف أنه مـجرد بشـر يأكل الخبز ويمشى على الأرض ويصيبه النعاس والنوم كما يصيب غيره من البشر ، ورغم ذلك نجح الفرعون كما نجحت بطانته فى تقديمه للناس كاله ..

وأعلن فرعون أكثـر من مرة أنه إله ، وهدد موسى يومـا بقـوله «لئن اتـخـذت إلهـا غـيـرى لأجـعلنك من المسجونين»

ولا ريب أن هذه الثـقـة فى النفـس وهذا الادعـاء للالوهيـة ينبعان من تيـار عمـيق له تقاليـده فى نفاق الفرعون .. لقـد ظلوا يضخمون فى مواهبـه وينفخون فى كبريائه وينافقـونه بكل أنواع النفاق حتى قال ذات يوم فى اجتـماع « ياأيها الملأ .. مـا علمت لكم من إله غيرى» ..

بل إن فرعون نافق نفسه يوما فقال «وما أريكم إلا ما أرى ومـا اهديكم إلا سبيل الـرشاد» وهذا يعنى أن رأيه هو الصحيح وحده ..

بعـد أن استـقرت فكرة الوهيـة الفرعـون فى بطانة الفـرعـون وفى مشـاعـر الفـرعون ذاته ، بعـدها قـاد الطاغيـة جيشه نحـو الغرق والدمار فى البـحر ، وهذا ما ينتهى إليه تقديس الاشخاص دائما ..

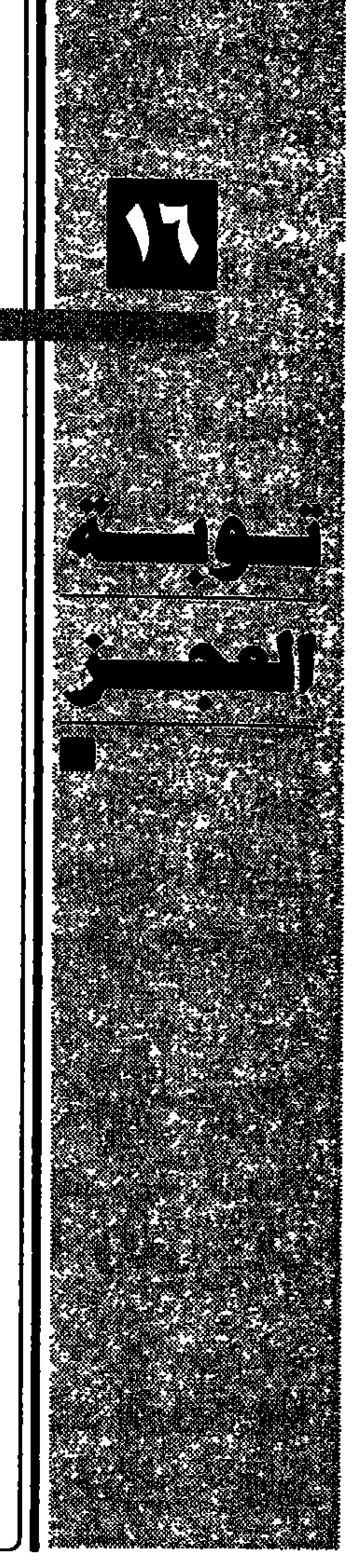
إنه ينتهى إلى كارثة فاجعه يهلك فيها آلاف لا ناقة لهم ولا جمل ولا رأى لهم ولا تدبير ..

يصدق هذا على الماضى والحاضر والمستقبل ..

لقد عاش العالم العربى تجربة زعيم عربى ظلوا ينفخون فى كبريائه حتى قاد شعبه نحو معركة سماها أم المعارك ، وهزيمة سماها أعظم الانتصارات ، وتم هذا كله تحت ستار أن الزعيم لا يخطئ .. ولا يتصور أن تكون حساباته قد طاشت ..

وكان كل ما يقال كذبا يستمد وجوده من تقاليد قديمة وعريقة فى النفاق ، وهو نفاق بدأ هواية ثم انقلب إلى صناعة واحتراف ، وهى صناعة يقول العالمون ببواطن الأمور أنها هى السبب الرئيسى فى تخلف الشرق وضياعه .





حين كنا اطفـالا فى المدارس، كـانوا يطبـعــون لنا فى ظهـر كراريس المدرســة عدة تعليـمات تقول :

* إذا اعطاك أحد شيـئا فقل له أشكرك

* أغسل يديك قبل الأكل وبعده

* لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد

ومن المدهش أن جـيلنا كـان ينفـذ ما يحلو له من هذه التعليـمات ويهدر الباقى ، وكـان أهـم مـا يهـدره هو النصـيحـة التى تنصح بـعدم تأجـيل عمل اليوم إلى الغد .

إن تأجيل عمل اليوم إلى الغد فن يجيده المصريون، وعلى رأسـهم تـقف البيـروقـراطيـة بكـل اجـهـزتهـا العنكبـوتيـة، ولاهم لها سـوى تأجـيل عمل اليـوم إلى الغد.. وما بعد الغد ..

وقد تسلـل هذا التقليـد من حياتنا فـى المدرسة إلى الحياة العامة حين خرجنا إلى الحياة العامة ..

وأنتـقل هذا التقليـد من الحيـاة العامـة إلى الحيـاة الخـــاصـــة فى الـدين .. والأصل فى الـدين أن يدرك المؤمن أن عليه أن يتوب ، ويعجل بتـوبته قبل أن ينفذ فيه قضاء الله ..

هذا هو الأصل المفـروض ، ولكن المفـروض لا يقع كثيـرا فى الدنيا ، إن شـهر رمضان شـهر مناسب جدا للتوبة ، وغفران الـذنوب .. لقد تحدث الرسول ﷺ أن من صام نهـار رمضان وقـام ليل رمضـان خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ..

أيضا ينطوى شـهر رمضان على ليلة هى خـير من الف شهر ، هى ليلة القدر ..

أى فرصة يتيحها الله للناس فى التوبة والعودة إلى خيام الإيمان ؟ نحن أمام فرصة هائلة ..

لا يكاد شـهر مـضان يقـبل حـتى اقرر التـوبة هذا العام ، وأفـعل ذلك بجدية شـديدة وعزم قـاطع ، فإذا

مضـى شهر رمـضان نسـينا ما كـان من أمر الـعزم والتوبة ، وعدنا نـحتضن الذنوب ونقبل على السـيئات بنهم الطفل الذى حـرم من الحلوى ثم عـثر على علبـة كاملة من الحلوى .. أن موضة هـذا العصر هى تأجيل التـوبة .. أن المرء يتوب بعـد أن تسـقط اسنانه ويدب الروماتـيزم فى مفـاصله وتضعـف عيناه وتنهـار قواه الحسية ..

باخـتصـار .. يتوب المرء عنـدما يفـقد القـدرة على ارتـكاب المعـاصى ، ساعـتهـا تتـحول التـوبة إلى توبة عجز ..

إن المرء يقـول لنفـسـه ـ سـوف أغـض النظر ولن أجلس فى المقهى لتـأمل الغيد الـسائرات فى الطريق .. يقولها المرء بعد أن يضـعف نظره ولا يعود يميز هذه الكتلة السـائرة هـناك ، هل هى كـتلة امـرأة أم كـتلة حمار يجر عربة .

وهذا الموقف للاسـف الشـديد هو مـوقف توبة غيـر مقبولة هو عجز وليس توبة ..

نعـرف أن التوبة تظل قـائمة مـا لم يدخل المرء فى سكرات الموت ، وهذا من رحمة الله بعـباده ، أن افسـح لهم مـجال التـوبة ومده مـدا ، ورغم ذلك نرى الناس تؤجل وتسوف التـوبة كمـا فعل فرعـون موسـى ، ظل

يعاند ويـقاوم ويظلم ويكفـر حتى انشق البـحر وبدأت الأمـواج تتـلاطم فى رئتيـه وبدأ الفـرعـون يدخل فى سكرات الموت ..

هنالك تذكر التوبة وأعلنها .. وكان منطقيا أن يقذف بالتوبة فى وجهه ولا تقبل .

١٧
يتامى فى رمضان

كبـر اطفال الأمـس وصاروا رجـالا ونسـاء .. وتـغـيـر احساسهم بشهـر رمضان مثلما تغير احساسهم بآلاف الأشياء الأخرى ..

إن الطفولة هى القدرة على الدهشة وهى القدرة على استقبال الفرح ، وهى البراءة من الذنوب ..

لكن مضى الأيام يحول الأطفال إلى آباء وأمهات ، ويوما بعد يوم يتوارى الفرح وتذوب الدهشة ويبقى جانب المسئولية الثقيل ..

عندما نتحول إلى آباء أو أمهات ..

ندرك ما لم نكن ندركه ونحن اطفال وشباب ..

كانت لنا تقاليد فى شهر رمضان بعد أن تزوجت وصار لى ابناء ، وكانت هذه التقاليد تقضى بأن أفطر مع اسرتى فى بيت أمى فى اليوم الأول من رمضان.. وبعد ذلك فى أيام الجمعة على امتداد شهر رمضان ..

وأنا اكره الافطار خارج بيتى ..

إننى عادة لا أفطر إذا ضرب مدفع الإفطار وأذن المؤذنون لصلاة المغرب ، إنما آكل ثلاث بلحات أو ثلاث تمرات ، وأشرب فنجانا ضخما من القهوة ، ثم اشرب سيجارة وانتقم لنفسى من كل الساعات التى توقفت فيها عن التدخين ..

باختصار ، لم أكن أملأ معدتى إذا أفطرت ، وكانت أمى تعتبر هذا موقفا عدائيا صريحا منى ، فقد وقفت هى أمام النار لكى تعد الطعام ، وتفننت فيه وأبدعت وتفوقت ، ثم آتى انا لكى آكل ثلاث تمرات ..

إن هذا يعنى اهدار مجهودها الفنى فى الطهى وابداع الحلوى ، نحن أمام مؤامرة اذن ، ولما كنت - فى نظرها - سانجا ولا قدرة لى على تدبير المؤامرات، فلا ريب اننى مدفوع من زوجتى لكى آخذ هذا الموقف..

ولكى اتلافى هذا الظن بآثاره ، كنت أقهر نفسى

على تذوق طعــام أمى والأكل منه ســاعــة الإفطار .. وكنت انافـقـها فـأقـول عند كل صنف آكله : مـا هذا يا أمى .. هذه ليـست صينية بطاطـس ، إنما هى عمل فنى رائع .. أو أقـول بعد أن اذوق الـقطايف باللحم - هذه القطايف التى حـشيـت باللحم المفروم والمكسـرات أحلى من الـقطايف التى حــشى جــوفـهــا بالعــسل والمكسرات ..

وكــانت أمــى ترضى عنـى رغم أنهــا تـدرك اننى أجاملها ايثارا للسلامة ورغبة فى ارضائها ..

ثم مــاتت أمى ، ولم نعد نفـطر فى بيتـها إذا جــاء شهــر رمضــان ، وهكذا تحولنا من اطفــال يستمتـعون بحنان الأم وطعامــها إلى يتامى فى رمضــان .. واليتم قضــاء صعب ، رغم أن المرء يسـتسلم فـيه للمـشيـئة الالـهية ويصبر ..

أخـيرا انســحب بيت الأم من مــجــال الرؤية ودخل متحف الذكريات ، ولقد كــان بيت أمى بيتا مصريا من الطراز الأول ، إنك تجد فــيه هذا الشــجن القديم الذى عرفـته ايزيس حين اصاب أوزيريس مــا اصابه ، وهو بيت تجد فــيه هذه الضـحكات الـعظيمة السـاخرة التى يعقبها قول القائل «اللهم إجعله خيرا» اشارة إلى بؤس هذا الشعب واحسـاسه أن الضحك ليس من حقه ، وهو

بيت تجد فيه كنافة تذكرك بكنافة جارية عبد الملك بن مروان ، وكانت تشتهر بصنع الكنافة ، وهو بيت تجد فيه قطايف تذكرك بقطايف ابن نباتة المصرى وهو شاعر اشتهر بحبه للحلوى كما أشتهر بطفاسته ، وهو بيت تجد فيه أرزا مخلوطا بالمكسرات يذكرك بامجاد الخديوى اسماعيل ومآدبه ، وهو بيت تجد فيه القهوة المحوجة ، والماء المعطر بالزهر ، باختصار هو بيت مصرى قديم وتقليدى بكل متناقضاته وعظمته وشجنه وافراحه .

صار هذا كله اليوم ذكريات تطوف بذهن المرء فى غياب الأم وحضور رمضان .

دنيـــا ..
بنت دنيـــا

١٨

سحابة صيف

كان احساسه الأول بها يشبه احساس رجل يسير فى الصحراء فى ذروة القيظ ، ثم يدخل فجأة تحت ظل سحابة عابرة ..

لقد أحس الرجل فى الظل بطراوة الربيع وانخفاض الحرارة ، ورفع رأسه لأعلى فشاهد السحابة التى تحجب الشمس .

ـ حمداً لله .. قالها فى نفسه وعاد يسير ، لقد غيرت السحابة احساسه بنفسه وبالكائنات الأخرى .. وشب على قدميه ومضى يفكر كيف يرد للسحابة جميلها وكيف يقبل يديها ،

ولكن السحابة كانت فى طريقها إلى التبدد ..

انقشعت السحابة مثل سحابة صيف ومضت دون أن تبل ريقه بقطرة مياه واحدة ..

أخلد الرجل إلى الصمت وبدا غريقا فى أفكاره .. فلما طال صمته سألته :

ـ ماذا تريد أن تقول ؟

قال : لقد حدثتك عن إحساسى الأول حينما رأيتها

قلت له : أنت تذكرنى بقول الشاعر :

جادك الغيث إذا الغيث همـا

.. يا زمان الوصل بالأندلس

قال : مع فارق جوهرى .. إن الشاعر جاده الغيث وأغرقه السحاب واخضرت الدنيا من حوله ، أما أنا فوقعت بعد ظهورها واختفائها فى التيه ..

أستطرد يقول وهو يفرك يديه :

لقد وقع لى شئ غريب بعد أن رأيتها .. لم أعد قادرا على العمل ، ولم أعد قادرا على التفكير .. ولا عدت قادرا على التركيز .. إننى احلم وأنا مستيقظ وأحلم وأنا نائم ..

غاصت داخلى أشياء فى باطن النفس ، وارتفعت أشياء أخرى ، وتم هذا كله فى ثوان قليلة .. ولكننى

أكتشفت بعد مرور هذه الثوانى أن ما بداخلى لم يعد كما كان ..

لقد تغير شئ ما فى روحى .. ولدت واحة فى صحراء الذات .. وولدت فى هذه الواحة صورة ما .. صورة غامضة لم تستكمل ملامحها بعد .. ولكن هذه الصورة صارت هى مركز الاهتمام الجديد ، واصبحت هى الهدف الرئيسى الذى تسعى إليه الأحلام المعطرة الموشاة بالحزن ..

سألت : لماذا تحس بالحزن ؟

قال : فى كل قصة حب قدر من الحزن تبدأ به .. أليس هذا ما تقولونه ؟ إن آلاف الأحزان الغامضة تتكسر كالموج على شواطئ الروح .. ربما لا نلتقى بعد الآن .. ربما ترحل هى أو أرحل أنا .. ربما سافرت .. ربما أموت .. وربما لا أعجبها .. أى فرق بين الحالتين..

لا حد لعدد المخاوف التى تنبع من الاحساس الأول للحب ..

قلت له : كم مرة رأيتها .

قال : مرة واحدة .

قلت له : كم ساعة تحدثت إليها .

قال : دقائق .. ليس أكثر من دقائق .. ربما عشر

دقائق ، ربما مكثنا نصف ساعة نتحدث ، وربما لم نتحدث ابدا وكل ما في الأمر اننى أحلم .. لست ادرى على وجه الدقة ..

قلت له : أنت محموم وتهذى .

قال : هل هذا هو الحب ..

قلت له : الإنسان طبيب نفسه .. ولا أحد يستطيع أن يجيبك على تساؤلك سواك أنت ..

انصرف بعد قليل وتركنى أفكر فى الحب بشكل مجرد ..

إن الحب مخلوق من أعجب المخلوقات التى تدب على الأرض ، أو تسير فوق السحاب ..

إنه طاقة هائلة كطاقة الشمس ، وهو المسئول عن ميلاد آلاف الشعراء وآلاف القصائد ، وهو المسئول عن ميلاد أكثر الأعمال الفنية فى العالم ، سواء كانت رسما أو نحتاً أو مسرحية أو قصة أو رواية .. وهو المسئول عن حركة البناء ونشوء فن العمارة .. كما انه مسئول عن كل تقدم فى الأرض ..

باختصار .. يمكن القول أن الحب هو ملح الأرض ، وهو ملح تفسد الارض بغيره ، ولكنه ملح يبدأ طعمه كالسكر ، ثم يتحول إلى طبيعته الأصلية ..

وبغير الحب ، يعيش الانسان على مستوى الغرائز

مثل أنواع الحيوان ، أما الحب فينقل المرء نقلة هائلة من مستوى المادة إلى مستوى الروح ، ويوقظ داخله الأمير النائم ، ويعينه على اكتشاف ذاته من خلال مشاعر الآخرين ..

ولعل رحلة الاكتشاف هذه هى أصعب ما فى الحب وامتع ما فيه فى نفس الوقت .

١٩

غـــزو المــريـخ

الفن يسبق العلم عادة

لقد هبط الإنـسان على أرض القـمـر فى الروايات والقـصص قبل أن يهبط فى واقع الأمر أو الحقيقة ..

إن چول فـرن و هــ . جـ . ويلز كانا مـن رواد الخيال العـلمى وكتـبا قصصا كثيرة فى هذا المجال ..

هذا يثـبت أن الحلم يـسـبق العلم دائمـا .. ويـذكـرنا هذا بأحـد أبطال الكاتب اليونانى كازنزاكيس ..

هذا البطل هو خـريســتوفـو رومس

كولمبس ، وهو رجل كـان موقنا إنه الموعود باكتـشاف العوالم الجديدة ، وليس هناك من يســتطيع أن ينافسه فى مغامرته المدهشة .

إنه يخاطب القـبطان الونزو والقبطان هنيان فـيقول لهما:

ـ لن تكتـشفـا أرضا جـديدة ، فليـعرف كل واحـد منكما ذلك منى ، لأنــها غير مـوجودة فى أعمـاقكما ، الأرض الجــديدة تولد فــى قلوبنا أولا ، ثم نـراها فى البحر بعد ذلك .

وتتكرر هذه النغـمـة من كولـمبس خلال حـواره مع الراهب .. إن الراهب يقوله له : ماذا يحدث لو اكتشف هذه الأرض الجديدة أحد قبلك .. ويرد كولمبس قائلا : ليس هذا ممكنا ، أنا وحدى الذى أســتطيع أن أجدها ، لا أحد غـيرى ، إننى لـن أجدها ، بل ســأخرجهـا من البحر ، سوف انتزعها مـن أعماق المحيط ، سأصعدها إلى ضوء الشـمس ، قد يمر غيرى من هناك ، ســيجد المحيط ماء بلا أرض مثل صحراء خاوية ..

ويقول له الراهب : لا أفهم ..

ويرد كــولمبس : ولا أنــا .. لكننى واثـق إنه إذا لم يكن للجزر وجود ، فلماذا ولدت أنا .. ؟ إنها موجودة

لأننى موجود .. كن واثقا فى ..

طافت هذه الخــواطر فى ذهــنى وأنا أتابع أحــداث هبوط المركبـة الفضائية الأمريكيـة باثفايندر على سطح المريخ .. بعد رحلة استمرت سبعة أشهر .

ولقد اعـتبر العلماء الأمـريكيون هبوط المركـبة على سطح المريخ وبدء إرسالها لصـور المريخ بعد تحليلها ، إنها أعظم وأروع دراما فى تاريخ العالم .

إن الروبوت الآلى الذى يحـركـه الـعلمـاء من سطح الأرض على بعد مـلايين الأميال هو إنجـاز علمى هائل فى نهـاية الأمـر ، وهو خطوة لا يمكـن إنكار خطرها فى غزو الفضـاء واستكشافه .

وللمـرة الأولـى يشـاهد العلمـاء صــورا واضـحـة لصخـور المريخ ، وهى صخـور حمـراء تشبـه الحديد الصدىء .. كمـا أنها هى المرة الأولى التى يقوم فـيها سكان الأرض بتحليل الصخور فى المريخ .

هل يقــتــرب الإنســان من أســرار الكون بهــذا الاكتـشـاف، أم ان هذه الأسرار مازالت أبعـد من قدرة الإنسان وامكانياته .. هذا سـؤال لا نعرف الجواب عنه الآن .. وإن كان مرور الزمان قادرا على تقديم الإجابة الصحيحة .

إن العلمـاء يوقنون اليـوم بوجود مـيـاه على سطح المريخ قبل ثلاثة بلايين سنة ..

ووجود المياه إشارة إلى امكانية وجود حياة ، فهل كانـت هناك حيـاة فى المريخ منذ بلايين السنين ؟ .. أو فى نفس الوقت الذى انبـعـثت فـيه الحـيـاة على الأرض التى نعـيش عليـها ؟ .. هذا السـؤال لم يزل بلا جواب .

لا يملك العلماء مـا يؤكدون به وجود الحـياة ، ولا يملكون فى نفس الوقت ما ينفى وجود الحياة .

إن درجة الحرارة على سطح المريخ اليوم تبلغ ١٠٠ درجـة تحت الصـفر ، وهذا جـو لا يسـتطيع أحـد أن يعيش فـيه ، فـهل كانت درجـة الحرارة فى العـصور السـحـيقـة الماضيـة فى المـريخ تسمح بنـشوء الحـياة فيه.. هذه كلها أسـئلة لم تزل بلا جواب قاطع ، وهذه طبـيـعة العـلم ، كلمـا ازداد علمنا بشـىء زادت أمـامنا أسرار هذا الشـىء وطفت على سطح العقل أسئلة كثيرة بلا جواب ..

رغم كل شـىء ، يمكن القول إن الحـلم يسبق العلم، وأن الفن يسبق الواقع المعاش ، منذ ١٩ عـاما أخرجت هوليوود فيلما تدور قصته حول إرسال ثلاثة رواد إلى

المريخ ، وتآمرت الـشركة التى تنفق عـلى المشروع مع علماء وكالة ناسا حيث أقاموا بصحراء الاريزونا أرضا شبيهة بالمريخ وضعت عليـها المركبة ، وقرر المتآمرون الادعاء بتدمير المركـبة فى طريق العودة، ومن ثم تقرر التخلص مـن الرواد الثلاثة وقتلهم ، لـولا أن صحفـيا أنقذ الموقف وكـشف السر فى اللحظة الأخـيرة .. أثناء قيام الرئيس الأمريكى بتأبين الرواد العظام .



٢٠

آلام الجمادات

كـــان الظن أن الجـــمـــادات كالحـجارة والصخـور لا تعرف الإخساس وبالتالـى لا تتألم كما يتـألم الإنسان عندمـا يتعـرض لضغوط لا قـبل له بها .. ومن هنا قال العربى القديم :

ـ ليتنى كنت حجرا فى الفلاة ..

بمعنى أنـه لو كـان حــجــرا فى الفـلاة، لما أحس ولا تألم كمـا يحس الآن ويتألم بوصفه إنسانا ..

غيـر أن تقدم العلوم قد غـير هذا الظن ..

حتى فترة قريـبة ، كان الإحساس

العام أن الحيوان فى أدنى درجات السلم الحيوانى لا يعرف الشعور .. كان الظن السائد أن النمل مثلا لا يعرف الشعور ..

غير أن هناك إشارة سريعة ومضيئة وردت فى القرآن الكريم عن النمل ، وهى إشارة تقول لنا إن النمل يتكلم ويعرف الشعور : **﴿ قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنك سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ﴾**.

إن النملة تستخدم كلمة « يشعرون » ، هذا يعنى أن قاموس النمل يعرف الإحساس والشعور ، وبغير معرفته هذه ما كان يستخدم الكلمة فى لغته .

إذا كانت الحشرات تعرف الشعور ، فهل تعرف الجمادات كالحجارة والمعادن فكرة الشعور ..

كان الظن القائم أنها لا تعرف ، رغم أن هناك إشارة فى القرآن الكريم إلى حجارة تهبط من خشية الله ، فإذا كانت الحجارة تفعل ذلك فلا ريب أنها تحس بهيبة الله وجلاله ، وهذا يعنى أنها تشعر وتعرف الشعور .. ومن ثم تنهار أمام العظمة الإلهية.. هذا الإشارة الواضحة التى وردت فى كتاب الله منذ ١٤ قرنا من الزمان ، لم تفهم فى عصرها إلا فهما مجازيا ، ثم هاهو الزمان يمر، ويتقدم الإنسان فى

مـجال العلوم ، ويكتـشف أن المعادن تعـرف الشعـور والإحـســاس ، وأنها تـتألم وتـصرخ عنـدما تتـعـرض للضغوط ، ثم تنهار وتتحطم .

تقول الحقيقة العلمية إنه إذا كان الإنسان يتألم عند تعرضـه لضغـوط تفوق طاقـة احتـماله ، فـإن المعادن والجمادات أيضا تصدر عنـها صرخات إذا تعرضت لما يفوق قدرة احتمالها من مؤثرات خارجية ، سواء كانت إجهـادات ميكانـيكية أو حـرارية أو عوامل بيـئية مـثل الصدأ أو التآكل ، وقد تم التقاط هذه الموجات الصوتية بأجهزة الكتـرونية خاصة ، وأطلق عليهـا اسم موجات البث الصـوتى .. وتكمن أهميـة هذا الاكتـشاف فى أن الإنســان يستطيـع الاستـفادة منه فـى التنبؤ بحـدوث الكوارث ، سـواء منهـا المتـعلق بالطائرات أو المنشـآت الحيـوية مثل السـدود والمحطات النووية وخطوط نقل الغازات الطبيعية .. وما إلى ذلك ..

وقـد اخـتلف العلمـاء حـول أول من اكـتـشف هذه الموجـات ولكنهم اتفـقوا على أن العـالم الألمانى كـايزر كان أول من أخضع هذه الموجات الصـوتية للبحث من خلال منظور علمى دقيق .

وقد بدأ الاكـتشاف سنة ١٩٥٠ ، وكـان هذا العالم يقوم ببعض التجارب المعملـية والتقط الموجات الصوتية الصادرة عن معدن القصـدير حينما تعرض هذا المعدن

لقـوة شـد متـواصلة أدت إلى انهـيـاره ، وهكذا بدأت سلسلة من الأبحـاث فتـحت أبواب المعرفة عـلى أسرار المعادن .. إن هناك شيئا يسمونه « إرهاق المعادن Met-al Fatique » إذا وصل المعدن لهذا الحـد كان هذا إيذانا باقـتـراب تحطمـه ، فـإذا عـرفنـا عن طريق الموجـات الصـوتيـة المنبـعثـة من المعـدن أن المعـدن فى طريقـه للانهيار أمكن اعتبار هذا إنذارا مبكرا باقتراب الكارثة ، وبالتالى يمـكن تداركها قـبل أن تقع ، وهذا يعنى أننا أمام ثورة علمية هامة .

ثورة تعنـى تأمين المنشـآت النووية ، والمفـاعـلات الذرية ، وحـوادث الطـيـران .. بـل وحـتـى الكوارث الطبيعية كـالزلازل والبراكين عن طريق التقاط الموجات الصوتـية التى يصدرهـا المعدن حين يصل إجـهاده إلى القـمة ، ويبـدأ فى إصدار أصـوات الألم قبل أن يبدأ نسيجه فى الانهيـار والتشريخ النهائى والتحطم . ولو نجحت الأبحاث التى تجرى الآن ، فهذا يعنى أن القرن القـادم سـيكون قـرنا يخـلو من حـوادث الطائرات أو انفجـار المفاعلات النووية ، حـيث يمكن إحالة الطائرات المجهدة إلى المعاش قبل أن تقع المأساة وتتحطم .

٢١

أخطار الحياة

ليست الحياة قطعة من الحلوى التى يديرها الإنسان فى فمه راضيا ملتذا ، إنما هى ليل ونهار ، محنة ونعمة، ابتلاء وفتنة ، وأيضا مجموعة من المرعبات التى تحتاج إلى عون الخالق ورحمته لكى يحتملها الإنسان ورغم كل التقدم العلمى الذى حققه النوع البشرى .

رغم كل الحضارة والمدنية التى مكنت المرء من إخضاع المادة واكتشاف الفضاء ، رغم الزينة التى تزينتها الأرض وأخذت زخرفها وظن أهلها أنهم قادرون عليها ..

رغم هذا كله تقع أحيانا أحداث تكشف عن مدى هشاشة المدنية التى نعيش فى ظلها .

منذ شهور قليلة ..

وقعت فى بعض دول أوربا فيضانات .. فى ألمانيا وبولندا والتشيك هطل المطر ضعيفا فى البداية ، ثم اشتد وانهمر .. بعد أيام ارتفع الماء واندفع يجرف أمامه ما يلقاه ، وتحولت بعض القرى والمدن الآهلة بالسكان إلى بحيرات ليس فيها مخلوق حى .. قامت السلطات المسئولة بتهجير الناس قبل أن يرتفع منسوب المياه ويصل فى بعض الأحيان إلى أسطح البيوت ..

كان المشهد كما عكسته كاميرات التليفزيون والسينما يبدو محزنا ومرعبا فى نفس الوقت ..

لقد غرقت البيوت ، وتحطمت السيارات ، وتهاوت الأشجار ، وانقطعت الكهرباء والتدفئة .. وتوقفت المواصلات والاتصالات ، وتحولت المدينة التى أخذت زخرفها وأزينت إلى خراب موحش وصمت فاجع يخلو من البشر ..

قلت لنفسى وأنا أتأمل طوفان المطر : لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم ..

إن غرور الإنسان لا يوازيه إلا نسيانه للتجارب ، إن الإنسان لايعرف أنه يعيش على مدنية هشة ، ولا

يعرف أن كل الزينة التى يتمتع بها يمكن أن تغرق فى متر ماء أو شبر ماء .. ليس فيضان الماء هو وحده النذير الذى يقول للناس ما يقوله ..

هناك مرعبات كثيرة أخرى فى الحياة ..

تأمل ثورة بركان فى مكان ما .. إن القرية التى تبعد عن هذا البركان أميالا عديدة ستجد نفسها فجأة تهجر بيوتها ومصالحها وأعمالها وتهرب بعيدا عن حمم البركان المصهورة التى تحرق فى طريقها كل شىء حتى الهواء ..

أو تأمل زلزالا فى مكان ما .. إن الزلزال لا يستغرق غير ثوان في العادة .. وهذا من رحمة الله.. ولكن هذه الثوانى القليلة يمكن أن تغير الصورة تماما، ويمكن أن تقلب المشهد من مدينة متحضرة إلى أرض خراب تحترق.

نحن نعيش على الأرض - رغم كل مرعباتها - بنعمة من الله ، ولولا حفظه لنا لهلكنا منذ آلاف السنين.

ليست الأخطار التى تهدد النوع الإنسانى مصدرها الأرض وحدها ، هناك مرعبات أخرى من الفضاء .

نحن ننظر حولنا فى السماء فيريحنا لونها الأزرق الجميل ، كما يمتعنا تغير ألوانها فى الشروق

والغروب، ولكن وراء هذا الجمال أخطار لا يمكن إنكارها وإن كان نسيانها هو الممكن .

يؤكد علماء الفلك أن نجما من مجرة اوفيكيوس يسير فى خط تصادم مع سحابة أورت ، وهى منطقة تقع على أطراف المجموعة الشمسية وتحتوى على الملايين من النيازك .

ولو حدث أن اصطدم هذا النجم بالسحابة ، ومن المتوقع أن يحدث هذا بعد مليون سنة ، لو وقع هذا الاصطدام الذى يؤكده العلماء فهذا يعنى اندفاع ملايين النيازك باتجاه الشمس ، ولما كانت الأرض فى الطريق للشمس ، فهذا يعنى وجود خطر حقيقى يهدد الأرض.

إن هذا النجم يتحرك فى اتجاهنا بسرعة ١٤ كيلومتراً فى الثانية ، ولو حدث ما يتوقعه العلماء من انفلات النيازك نحو الشمس والأرض ، فهذا يعنى أن الأرض ستتحول إلى الفناء فى ثوان قليلة .

نريد أن نقول إن مرعبات الحياة فى الأرض كثيرة، وهى مرعبات مصدرها الأرض .. أو الفضاء الخارجى، وإن كنا خلال تعدادنا للمرعبات قد نسينا أخطر ما فى الأرض من مرعبات .. وهو الإنسان .

إن الإنسان يدخر السلاح النووى قبل أن يدخر طعام غده .

٢٢

الإخلاص المظلوم !

جاء في دراسة صدرت عن المعهد الوطني للدراسات السكانية أن الفرنسيات أكثر إخلاصا من الفرنسيين بمعدل الضعفين .

استمرت الدراسة من يوليو سنة ١٩٩٠ وانتهت في فبراير سنة ١٩٩٢ وأشرف عليها فريق من علماء الاجتماع ، وجرت الدراسة على عشرين ألف شخص من الفرنسيين والفرنسيات .

قالت الدراسة إن ٢٠٪ من الرجال (من جميع الأعمار) أقاموا علاقات غير شرعية خارج إطار الزوجية في

السنوات الخمس الماضية .

على حين قامت النساء بعمل هذه العلاقات بنسبة ١٠,٥٪ فقط .

أى أن ١/٥ الرجال خانوا رابطة الزواج ، بينما قام ١/١٠ النساء بالخيانة فقط .. أفادت الدراسة أن متوسط عدد الشريكات للفرنسى خارج إطار الزوجية يبلغ ١٢ سيدة .

بينما يبلغ لدى الفرنسيات ٣ رجال و ٢ من عشرة.

من هنا قالت الدراسة إن الفرنسيات أكثر إخلاصا من الفرنسيين .. تأملت هذه الأرقام وقلت بينى وبين نفسى .. لا حول ولا قوة إلا بالله ..

لقد خضع الإخلاص فى عصرنا للدراسة .. وكشف عن رغبة الإنسان فى التعدد ، وهو تعدد يقع خارج الدائرة الشرعية .. وتجرى به الأعراف الفاسدة ويصبح مع الوقت جزءا من السلوك العام للبشر .

وتثير هذه الدراسة أكثر من سؤال فى البداية .

هل المرأة أكثر إخلاصا من الرجل أم أن الرجل أكثر إخلاصا ..

لقد دلت نتائج البحث أن المرأة أكثر إخلاصا من الرجل .. ويجىء هذا بحكم الفطرة الأولى .

إن المرأة هى التى تلد ، وهى التى تحتضن الوليد ، وهى نواة الأسرة ، ولو كان إخلاصها مشوبا بالظلال فسوف يؤدى ذلك إلى انهيار نواة الخلية الأولى فى المجتمع ، وهى الأسرة .

حمدا لله إن النساء أكثر إخلاصا من الرجال ، لو كان العكس هو الصحيح لكانت الأسرة اليوم ذكرى من ذكريات الزمان القديم .

رغم أن الدراسة تجيب لنا على هذا السؤال ، إلا أنها تفجر أسئلة أخرى ولا تجيب عليها ، أسئلة تثير المخاوف وتدفع فى نفس الوقت إلى الضحك أليس مدهشا أن يكون لكل فرنسى يخون زوجته ١٢ شريكة خارج إطار الزوجية ؟

أليس عجيبا أن يكون لكل فرنسية تخون زوجها ثلاث رجال ١/٥ خارج إطار الزوجية ؟

ثم يأتى السؤال الهام ..

أليست هذه الحرية أو الفوضى سببا من أسباب انتشار مرض نقص المناعة .

ثم يأتى سؤال اعتراضى هنا .. أليس مدهشا أن يقع هذا الذى يقع رغم المناخ العام الذى تحذر فيه مؤسسات عالمية كثيرة من أن شبح الإيدز يهدد الحياة الإنسانية كلها بالهلاك .

رغم شبح الموت القائم المسلط على الرقاب ، لازال ٣٠٪ من البشر ينطلقون وراء غرائزهم ويهددون أنفسهم كما يهددون سائر البشرية بالموت .

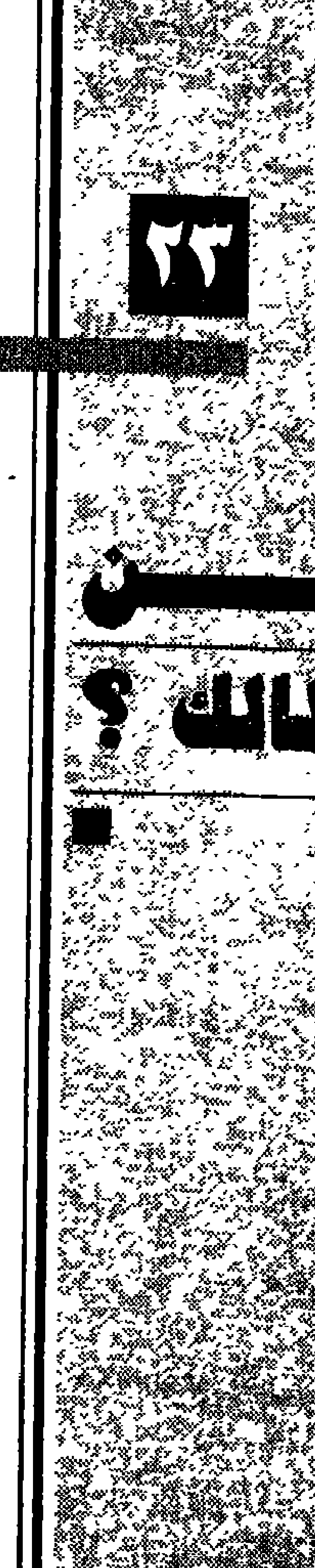
يثير الدهشة أكثر وأكثر ما حدث فى بداية ظهور مرض نقص المناعة ، حين قالت السلطات الطبية المسئولة أن استخدام الرجال للعازل الواقى يمكن أن يشكل حماية ضد المرض .

وكان رد فعل الناس فى مجتمعات الغرب المتقدم أنهم رفضوا استخدام العازل . وقالوا : بل نريد أن تكتشفوا لنا دواء يشفى من الإيدز .

وحتى اليوم لم تستطع المعامل البشرية أن تصل لعلاج لهذا الطاعون العصرى الجديد .. ولازال الناس ينطلقون على حل شعرهم - كما نقول - دون أى اكتراث للخطر .. وفي مثل هذا الجو .. ماذا يقول أبناء عصرنا عن الحب العذرى الذى كان الحبيب فيه لا يلمس طرف ثوب الحبيبة ويظل يبكى ويتغزل فيها حتى يموت هو أو يواريها التراب .

أيقول أبناء عصرنا عن مثل هذا الرجل إنه مجنون ؟ أم يقولون إنه مريض بمرض سحيق قديم اسمه الإخلاص ؟





سـئل إعـرابى : لمـن هذه العنزة

قال : هى لله عندى ..

توقـفت أمام هذه الإجـابة .. لشد ما هى صحيحة ، وحكيمة فى نفس الوقت .. إن صـاحب العنزة هو الإعرابى ، فلمـا سئل عن مـالكها لم يقل أنا مالكها أو صاحبها ، وإنما قال : هى لله عندى ..

لقد أسند ملكية العنزة لله..

أتظن أن هذا كان منه تأدبا وورعا فحـسب ، أم أنه نطق بالصـدق وقال الحقيقـة حين أسند الملكية لله ، وجعل

لنفسه حق الانتفاع بها فقط ..

أحسب أن الأعرابى قال الحقيقة المجردة .. وأجاب على سؤال صعب يخطىء معظم الناس فى الإجابة عليه ..

إن الناس ينسون كثيرا من هو المالك الحقيقى للأشياء .. ويتصورون أن مالديهم ملك لهم .. وأحيانا يجمع بهم الظن فيتصورون أن ما أوتيه الواحد منهم قد أوتيه بعلمه أو ذكائه أو فطنته .. ولعل أقوى مثال على ذلك كان قارون .

لقد أجاب قارون على السؤال الذى وجه للأعرابى إجابة خاطئة .. وقال عما يملكه من المال ـ إنما أوتيته على علم عندي.

وكانت هذه الإجابة هى التى طردت قارون من رحمة الله وانتهت به إلى الخسف .

كان قارون من الفئة الباغية من قوم موسى .. كان من بنى إسرائيل ، وكان أغنى رجل فى الأرض يومئذ.

يحدثنا الله تعالى عن كنوزه فيقول إن مفاتيح كنوزه كانت تحتاج فى حملها إلى عصبة من الرجال .

إذا كانت مفاتيح الكنوز بهذا التعدد والكثرة والثقل فكيف كانت كنوزه ذاتها .

يترك النص القرآنى للذهن البشرى أن يتخيل عظم هذه الكنوز ووفرتها وتعددها .

كان قارون كما يرسمه النص القرآنى رجلا يمتلىء بالفرح ، وليس المقصود بالفرح هنا هو هذه البهجة الطبيعية التى يعرفها الأغنياء ، وإنما كان فرح قارون هو انحصاره فى سجن الثراء واعتقاده أن شيئا لا يمكن أن يحدث له ، فهو فى أمان مطلق بسبب ماله.. ونتيجة لهذا الأمان المطلق انطلق يعيث فى الأرض فسادا وظلما وجورا .. وجاءه قومه ينصحونه ألا يطمئن ويفرح بماله لأن الله لا يحب هذا اللون من الناس ، أيضا نصحوه أن يبتغى فيما آتاه الله الدار الآخرة ، وأن يحسن كما أحسن الله إليه ، وألا يبغى الفساد في الأرض لأن الله لا يحب المفسدين .

استمع قارون بأذنيه لنصائح الحكماء من قومه ، ولكن قلبه كان يمور بالاستهزاء والسخرية ، ولعله اعتبر أن مجرد نصحهم له اجتراء على مقامه السامى ونسيان متعمد لثرائه وأمواله .

وقرر أن يرد عليهم ردا يخرسهم ويجعلهم يكفون عن إسداء النصائح له .. إنهم يحدثونه أن الله أحسن إليه وآتاه هذا المال .. فليحدثهم هو عمن آتاه هذا المال.

قال : إنما أوتيته على علم عندى ..

هذه الكلمة الشهيرة تعنى أن هذا المال ليس عطية من الله له ، وليس ملكا لله وقد جعل له حق التصرف فيه ، إنما هو مال هو مالكه ، وقد أوتيه من علمه وذكائه ومهارته ، كان قارون هنا يؤكد ملكيته المطلقة للمال ، وينكر ملكية الله له .. ناسيا أن الموت يعترض ملكية البشر ويضع حدا نهائيا لها ويعيد المال لمالكه الحق ليعيد الحق امتحان الناس به .

وهكذا فشل قارون رغم كل ثرائه فيما نجح فيه الأعرابى حين سئل : لمن هذه العنزة ؟ فقال : هى لله عندى .



٢٤

دراسة جدوى!

كان الجـو حـارا ، ورغم ذلك وجد نفسه يرتعش ..

سـألته : لماذا ترتعش

قال : اكـتسحتنى مـوجة من الخوف المفاجىء ..

قالت له : خائف لأنك تحبنى ..

سكت قليلا ثم قال : نعم

قالت : لم أكن اعلـم أننى مخيـفة لهذا الحد ..

قال : عفـوا .. ليس الأمر كذلك .. المشكلة كلها أننى أراك مـخلوقا شديد الحساسية والجمال ، وأراك فى نفس الوقت مخلوقا هشا للغاية ..

ولقد عـبر عـقلى سؤال فـارتعشت خوفا من إجابته .

قالت : ما هوالسؤال

قــال : قلت لنفـسى لماذا أظلـمك بحـبى هذا .. قلت لنفـسى : ماذا تسـتطيع أن تقدم إليـها .. أننى أتـذكر كلمة روميو لجوليت

- مـرينى أن أنظم لـك عـقـدا من نجـوم السـمـاء فأفعل..

لقد كـانت مشكلة روميـو بعد ذلك أنه اكـتشف أنه لا يسـتطيع أن يقدم لجـولييت فى نهـاية الأمـر سوى كأس من السم ..

إننى أمر بـنفس الأزمة .. إن نجوم السـمـاء بعـيدة وكأس السم قريب ..

قالت لــه : دعك من التشـاؤم والمبالغـة واشرح لى كيف ؟

قــال : دعـينى اشـرح لك كل مـا فى قلبى .. لقـد وقعت فى حبك .. اعتـرف بذلك ، تغير طعم الدنيا فى فـمـى ، اعـتـرف بـذلك ، تغـيـر إحـسـاسـى بالكون والكائنات.. اعتـرف أيضا بذلك ، ثم عبـر ذهنى سؤال واحد .. ماذا يقدم حبك إليها ؟

مـاذا تقدم إليـها ؟ مـا هو نوع الحيـاة الذى تنوى تقـديمه لامرأة تحـبـها كل هذا الحب .. إن الفـرق بين عمـرينا كبيـر .. لا تحتجـى .. سأقول إننى فى عـمر والـدك .. وأنا زوج ، ولـى بـنـات تزوجـن وانجـبن ، ولا أسـتطيع الزواج منـك ، سيـقـع زلزال فى عـائلتى

لو فعلت ، وسيقع زلزال فى عائلتك لو قبلت الزواج مني.

ما الذى يبقى إذن لاقدمه إليك ، غير هذه النظرات المختلسة ونحن بين الناس ، وهذه اللقاءات الخاطفة فى نور الظلام هل يرضيك هذا ؟

لو كان هذا يرضيك فإنه لا يرضينى ..

سكت محرجا فقالت له :

- أنت تبحث عن أسباب للانسحاب من حياتى ، وتبحث عن علل تبرر لك الانسحاب .. لماذا لا تقول بصراحة إنك قد توقفت عن حبى .. وإنك تبحث عن مبررات لذلك .

قال لها : أنا لم أتوقف عن حبك . إننى أحاول أن افعل ذلك ولكننى لا أستطيع ..

صدقينى إننى لا اعرف كيف تكون حياتى بدونك ، لقد تصورت بالأمس أننى هجرتك .. هل تعلمين كيف كان إحساسى .. أحسست أننى اختنق ، وإن قلبى يتحطم ، وإنه لا معنى ولا قيمة لشىء آخر فى وجودى كله ، دعينى استعيد لقاءنا الأول .. قبل أن أعرفك كانت كل لحظات حياتى تنقضى تحت ساعات مطمورة من الرتابة والملل ، كنت أتحرك بين المحاكم والقضايا وأمارس عملى وأحس بالوجود ولكننى لا أشعر بالحياة .

ثم التقينا صدفة ..

فى اللحظات التى التقت فيها عيوننا لم أعرف ماذا وقع لى ، كل ما أحسست إن شيئا يومض داخلى ويضىء لى المعنى الذى كان مستعصيا على ..

أدركت فجأة أننى لم أعش من قبل ، وأننى أولد من جديد ، وأن العمر كله يتبلور فى هذه اللحظة ، وحاولت أن أمسك بهذه اللحظة داخلى أطول وقت ممكن ، ولكن اللحظات تمضى بعد أن تترك انطباعها ، ولقد أدركت يومئذ - بإحساس داخلى - أننى قد صرت أسير هواك .

استسلمت لهذا الأسر ، وبدأت اكتشف نفسى من خلال حوارى معك .. ومع مرور الوقت أدركت أنك الحلم الذى كان مطمورا داخلى طوال عمرى ، ووقفت أمام البحر فلم أشهد سوى صورتك .. وتأملت الأفق فلم أر غيرك .. وتقدمت داخل البحر وصورتك أمامى، ثم توقفت فجأة حين أحسست أنك معى ، وإننا يمكن أن نغرق معا ..

عندئذ .. تراجع الجنون وتقدم صوت العقل ، وتساءلت ماذا يقدم حبى لك ؟

هل أخطأت فى ذلك ..

قالت هى بعد لحظة صمت ، نعم أخطأت .. دع تقدير حبك لى لصاحبة الشأن ، واهتم أنت بشؤونك.. إنك تتحدث عن الحب كأنك تقوم بدراسة جدوى له .. وهذا خطؤك فى النهاية .

٢٥

القطة والفضول

الإنسان كائن فضولى بطبيعة تركيبه الذى خلقه الله عليه ..

هو كائن فضولى يحب أن يتفرج على الأرض ، وياحبذا لو كانوا أجانب أو كانوا يتكلمون لغة لا يعرفها المتفرج .

وفى كل رحلات السياحة التى يقوم بها البشر ، يذهب السياح للفرجة على أرض لم يطأوها من قبل، وبشر لم يعرفونه من قبل ، وفى المقابل يقوم أصحاب الأرض أنفسهم بالفرجة على السياح وتأملهم..

أى أن الفرجة متبادلة ، والسياحة من الجانبين ..

والإنسان مخلوق فضولى فى المأثور الشعبى والحكايات مثلما هو مخلوق فضولى فى معامل البحث واكتشاف أسرار المادة .

فى حكايات ألف ليلة وليلة كان صاحب القصر يعطى الشاطر حسن مفاتيح القصر بكل غرفه وصالاته باستثناء غرفة واحدة ، يعطيه مفتاحها ويقول له :

ـ هذه غرفة ليس المسموح لك أن تدخلها أو تفتح بابها .. أما بقية الغرف فهى من حقك ..

لم ينم الشاطر حسن طوال ليلته وظل يفكر فى الغرفة الممنوعة المحرمة عليه .. أى شىء فيها .. ومتى يدخلها ليرى ما فيها .. ما الذى يدفع الشاطر حسن لدخول الغرفة المحرمة ..إنه الفضول الإنسانى .

دع عنك هذه الصورة النابعة من الحواديت وتعال ندخل معملا لاكتشاف أسرار المادة .

إن العالم يقف أمام المادة سنوات وراء سنوات ، يعرف أنها تخبىء شيئا عنه ، ثمة سر لم تكشف الستار عنه بعد ، ويظل العالم فى صراع مع المادة حتى تكشف أسرارها له وتستسلم لفضوله .. وليس التقدم العلمى سوى صراع بين فضول الإنسان وأسرار المادة .

كل ممنوع مرغوب إذن .. وكلما بَعُدَ الشيء اشتدت الرغـبة فى الوصــول إليـه وفك طلاسمــه واكـتشـاف أسراره .

من هنا نفهم سر هذه الضجة القائمة حول الكواكب الأخرى وهل هناك حياة فيها أم لا .

بالنسبة لى .. اعتقد أن حظى من الفضول الإنسانى ليس كبيرا .. لنفتـرض إن هناك حياة على كوكب آخر يبعـد عنا ملايين السنين الضوئية مـا الذى يدعونا إلى الوصول إليـهم وزيارتهم وازعاجهم رغم علمنا الأكـيد باستحالة الوصول إليهم ، ولنفترض إننا وصلنا إليهم، من الذى يضـمن لنا إنهم على اسـتـعداد لاسـتـقبـالنا والترحيب بنا ؟

قـد يكونوا نائمـين سـاعة الـقـيلولة ، وربما كـانوا لا يحبـون من يزعجهم أثنـاء القيلولة ، وربما اعتـبروا وصولنا إليهم ودخولنا عليهم عـملا من أعمال العدوان التى تستتبع نشـوب حرب .. هل نحاربهم ؟ ألا يكفينا مـا فى الأرض من حروب واقـتـتال حـتى نبـحث عن حروب أخرى فى كواكب أخرى !

يقول المثل الإنجليـزى ـ الفضول قـتل القطة ! فهل نستمر على فضولنا رغم أن أمامنا عبرة القطة القتيلة.

إن النوع الإنســانى رغم تقـدمـه فى علوم كـثيـرة

مازال ينحاز إلى الحماقة أكثر مما يميل إلى الحكمة .

صحـيح أن وجود كائنات أخرى فى كـواكب أخرى هو موضـوع استغلتـه السينما الأمـريكية وصنعت منه عشرات الأفلام السانجة التى نجحت فى كسب ملايين الدولارات من المتفـرجين . وصحيح أن أبحاث الفـضاء فى أمريكا أنفقت بلايين الدولارات على ماسموه بحرب النجوم ، ولكن الصـحيح أيضا أن البشريـة قد فشلت فى توفيـر اللبن لنصف الأطفـال الجوعى فى الأرض ، فى نفس الوقت الـذى تنفق فـيـه البـلايين على غـزو الفـضاء ، والبـحث عن كـائنات حـية فـيـه .. هل هذا منطق أو عقل ؟



٢٦

حديث نفس

سألتني نفسي : لماذا كتبت في جريدة الحياة عمودا ساخرا عن الفضول الذي قتل القطة ، وكان الموضوع يتناول وجود حياة في الكواكب الأخرى ، ولكنك تجاوزت هذا الموضوع وتجاهلته وسخرت من حماقة البشر ولم تقل رأيك في الموضوع الأساسي.

قلت لنفسي : تريدين رأيا جادا في موضوع وجود حياة أخرى في الكواكب .

قالت : نعم

قلت : أحسب إني موقن من وجود حياة في الأكوان الأخرى والمجرات



النائية ، ويستند يقيني هذا لسببين ، سبب يعتمد على العقل ، وسبب ينبع من النقل .

ولنبدأ بالسبب الثاني أولا ..

١ ـ أشار القرآن الكريم إلى خلق الإنسان ، وأنبأنا عن وجود مخلوقات سبقت خلق الإنسان .

كان هناك خلق يسميهم الله الملائكة ، وخلق يسميهم الجن ، وقد صدر الأمر للملائكة وواحد من الجن بالسجود لآدم ، وسجد الملائكة ورفض الجني إبليس أن يسجد استكبارا وعلوا ومن ثم فقد بدأت العداوة بين إبليس وآدم ، أو بين شياطين الجن وأبناء آدم .

٢ ـ حدثنا القرآن الكريم أن الله خلق النوع الإنساني من طين كالصلصال وحدثنا أنه خلق الجن من نار السموم ، وحدثنا الرسول أن الله خلق الملائكة من نور ..

واختلاف مادة النشأة يفيد اختلاف الوظائف والقدرات ، إن الملائكة كما تحدثنا نصوص القرآن يملكون قدرات خارقة ، وهم يستطيعون التشكل في الصور البشرية ، وهم في نهاية الأمر جنود لله تعالى، يتحركون بإذنه وينفذون أوامره ، وهم ليسوا مكلفين كالبشر والجن ، بمعنى أنهم لا يختارون بين الخير والشر ، إنما خلقهم الله خيرا محضا .

أما البشـر والجن فهم أحرار فى اخـتيار الإيمان أو الكفر ، وهم مسئولون بعد ذلك أمام الله عن اختيارهم ويحاسبون عليه ..

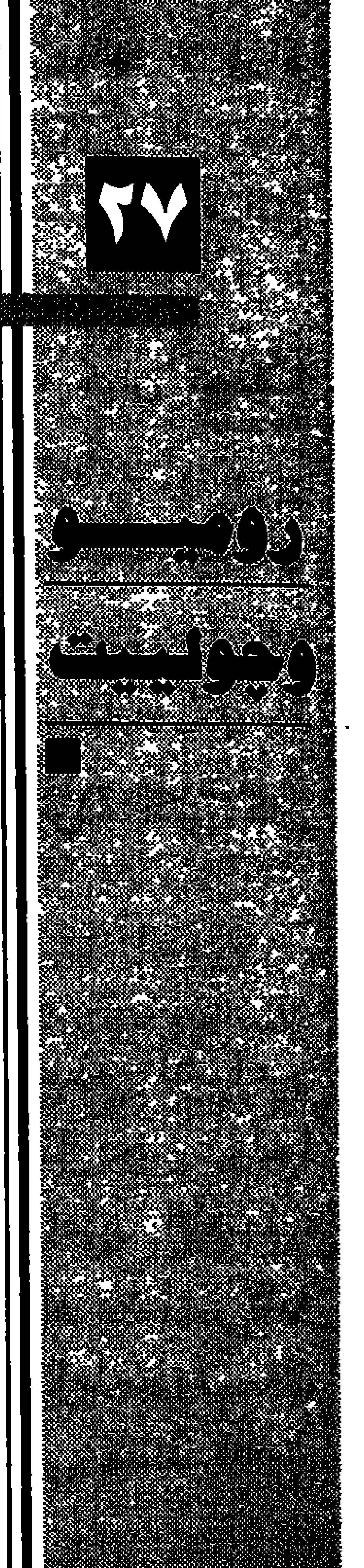
٣ ـ ورد فى سورة الفاتحـة ، وهى أول سورة فى المصحف قوله تعالى : ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ .

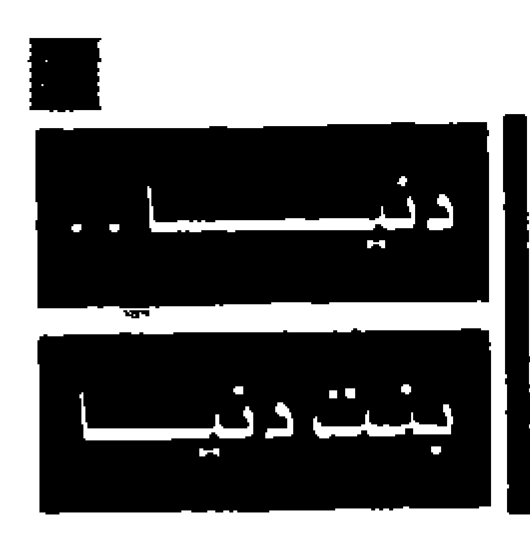
وهذه الآية تفيد وجود أكثـر من عالم ، وتشير إلى أن الله سـبـحانه هـو رب كل هذه العـوالم التى نراها والتى لا نراها . وهذا يـفيـد وجـود حـيـاة فى الكون تتجاوز الحياة التى نعرفها على الأرض .

٤ ـ يشـيـر القـرآن الكريم إلى أن الله خلـق سـبع سماوات ومن الأرض مثلهن .. وهذا يفـيد وجود حياة فى مجرات أخرى أو عوالم ثانية .

ليس هناك ما يفيد قصر الحياة على كوكب الأرض، ولاقـصر الخـلائق على النوع الإنسانى وحـده .. نحن نعرف الآن من تقـدم علم الفلك أن الأرض التى نعيش عليهـا ليست سوى كـوكب صغير فـى مجرة صغـيرة وهناك بلايين المجرات والكواكب والأرضين .. واحتمال وجود حـياة فيهـا هو احتمـال وارد وقائم .. وإن كنا لا نعرف كنه هذه الحـياة أو شكلها لبعد المسـافة بيننا وبينهم واسـتحـالة الاتصـال بهم أو الوصول إليـهم .. هذا ما يتصل بالنقل ، أمـا العقل فإنه يرجح هو الآخر

وجود حياة فى أماكن أخرى من الناحية المنطقية ، لأن الله تبـارك وتعـالى أعظم مـن أن نكون وحـدنا كل مـخلوقاته ، ولأنه سـبحـانه يحـدثنا عن نفسـه بأنه : ﴿ **كل يوم هو فى شـأن** ﴾ وخلق الحيـاة والموت من شئـونه سبحـانه .. وهذا يعنى أنه يخلق كائنات حـية فى الأكوان الأخرى .





قد يخلـو الجو من أى زهرة قـريـبـة.، وربما تكـون أقـرب الزهـور إلى المكـان تبـــعــد كيلومترات عن الإنسان .. ورغم ذلك ، يسـتنـشق هذا الإنســان عطر زهور غامضة لا يعرف من أين جاءت .. ولا إلى أين تذهب رائحتها .

أيضا قـد يكون الجو حارا مشـبعا بالرطوبة وخـانقـا ، ورغم ذلك يحس الإنســـان أن الدنيـــا ربيـع دائم .. وســـعــادة مطـلقـة .. مــن يكون هذا الإنســان الذى يستنشق عـبيـر زهرة ليـست مـوجـودة ، ويحس أن قـيظ الصيف ربيع داخله ..

هذا هو الإنسان العاشق ..

هذه تركيبة الإنسان العاشق .. إنه يرى ما لا يراه غيره ، ويحس ما لا يحسه غيره ، ويكون له زمنه الداخلى الخاص ، الذى لا يقاس بالساعات والدقائق وإنما يقاس بابتسامات الحبيبة وإشراق وجهها .

حين شاهد روميو جولييت أدرك أنه كان نصفا يبحث عن نصفه الآخر ، وهاهو يجده أخيرا .

هنا تبتسم الدنيا كلها ابتسامة تطل منها شمس الربيع ..

لقد وجد روميو ما كان يبحث عنه ..

وجد حواء .. ووجد معها الجنة المفقودة التى كان يحلم بها .

نفس الشىء حدث لقيس ..

لم يكد يجد ليلى ويحس نحوها بهذه المشاعر الخاصة حتى أدرك أنه لم ينزل من الجنة بعد ، وإنما هو فيها لم يزل .. ومثلما نطق روميو بأعذب الأشعار فكذلك فعل قيس .. ورددت معه الصحراء مشاعر قلبه الذى يخفق فحسب عندما يرى ليلى العامرية.. هل طويت صفحة العشاق بهذه النماذج التى كانت تنتهى بالموت حزنا أو الجنون .

إن الصفحة مازالت مفتوحة رغم أن الزمن قد صار غيرالزمن ، لقد وقعت قصة حب فى روسيا انتهت بانتحار الحبيبين ، ووقعت قصة حب فى مصر وانتهت بانتحار الحبيبين .

أما قصة روميو الروسية .. فقد ذهبت حبيبته إلى موسكو لتدرس فيها ، وكانت الرسائل بينهما هى الصلة ، ثم وصلت روميو الروسى ذات يوم رسالة تقول له إن حبيبتك تخونك ، ولكى تخلع الرسالة على الكذب قناع الصدق ، حدثته عن أسماء وأماكن ، وهجر روميو جولييت وتزوج من صديقتها التى وشت له بما حدث ، ثم عادت جولييت إلى قريتها حيث شنقت نفسها فى غرفتها بعد أن تركت مذكراتها اليومية فى كراسة .

ووصل دفتر المذكرات إلى روميو ، وعلم منه أنه ظلم جولييت وكان سببا فى انتحارها .. وهكذا توجه روميو إلى قبر جولييت وهناك أطلق رصاصة على رأسه وانكفأ على قبرها ميتا . وقد حدث فى مصر من زمن أن جرت قصة أخرى كتب عنها الأديب يحيى حقى تحت عنوان روميو وجولييت .. إن جولييت فى القصة المصرية كانت خادمة .. أما روميو فكان صبى البقال المجاور ، وقد التقى الاثنان بالنظرات وارتعاشة الأيدى . ولم يزد الأمر بينهما عن التلميح بدلا من

التصـريح ، كانت قصة الحـب عذرية وعفيـفة ، ورغم ذلك اكـتشـفهـا سادة الخـادمـة وأرسلوا إلى أقربائهـا يبلغـونهم ، وفى لحظة يأس سكبت جولـييت المصـرية على نفـسها الجـاز وأشعلت النـار فى جسدهـا وماتت وعلم رومـيو بالخـبـر وهو فى دكان البـقـالة فغـرس سكين الجبن فى صـدره ومات وراءها ، وكتب يـحيى حقى قصتهما بقلمه المحب الحانى ، فكانت القصة مثل دمـعة وفـاء وعزاء لعـاشقين لـم يبك عليهـما أحـد .. ومازال مـسلسل رومـيـو وجولييت مسـتمـر فى الدنيا ما بقى فيها حب .

دنيـــــا ..

بنت دنيـــا

٢٨

ذئــاب وغــزلان

الفـرق بين الـذئب والكلب ..
أنك تستطيع أن تربت على رأس الكلب وتـنقل إليـه احـسـاسك بحـبك ، بينما يصـعب عليك أن تفعل نفس الشئ مع الذئب ..

ورغم أن الذئاب والكلاب ينتمـيان لعائلة واحـدة ، إلا أن أحدهمـا رمز من رموز الوفـاء ، بينما الثـانى رمز من رمـوز الغدر .. وإن كـان لى هنا تحفظ على وصف الذئاب بالغدر ..

إن الذئب لا يهاجم الانسان إلا فى حـالة الـضـرورة القـصـوى ، وهى حالات الجوع القاتل ..

أليس من حق الكائن المخلوق أن يأكل ؟

إن الانسان وهو أرقى الخلائق جميعا ، ينسى كل رقيه إذا زقزقت عصافير بطنه من الجوع ..

وليس تاريخ الحياة الدنيا سوى تاريخ صراع دموى رهيب بين الخلائق على لقمة الخبز وقطعة اللحم .. وليس استعمار الدول للدول ، وهجوم الشعوب على الشعوب ، سوى مظهر تكمن علته وأسبابه فى زيادة الطعام وتوفيره ..

دعك من الشعارات المرفوعة ، والأسباب التى تساق فى مثل هذا المجال ، إن هذه الشعارات تتحدث عن تمدين الشعوب كما زعم الاستعمار حين احتل افريقيا مثلا ..

ولكن هذه الشعارات تحولت بعد الاحتلال إلى استنزاف لذهب القارة وخيراتها بما فيها من معادن وزراعة ..

لماذا ننظر إلى الذئاب خلال سعيها المشروع للطعام على أنها رمز من رموز الغدر وصورة من صور العدوان ..

صحيح أن الذئاب تأكل ماشيتنا ، ولكن ماذا تفعل الذئاب إذا كانت جائعة ، وكانت الماشية تستدعيها بأرق أصوات الأغراء ..

أعـتـرف اننى مـتـعـاطف مـع الذئاب ، ولعل سـر تعاطفى معها أن الذئاب هى العائلة الكبرى التى انحدر منهـــا الكلاب .. والكـلاب عــدو لدود لـلذئاب ، ولا يستطيـع الراعى أن يخرج بماشيـته إلا ومـعه كلب أو كلبـان من كـلاب الرعـاة ، وسـوف تمنع هذه الكلاب خطر الذئاب عن القطيع ، وسـتموت الكلاب دفـاعا عن مهمتها في الحراسة ..

تأمل اعجاز القدرة الخالقة ..

لقـد جعل الله مـن النوع الواحد مـن يهدد الانســان ومن يحرسه .

وأحيـانا يتصــرف الانسان تصـرفا يقـصد به ابادة الذئاب ومحو آثارها من الوجود ، فإذا بالنتيجة عكسية تمامـا .. قبل أن يتـفكك الاتحـاد السوفـيتى وينفـرط عقده، كان زعمـاء الكرملين وقادة الحزب الشيوعى من هواة صيد الغزلان ، وكانت الذئاب تشارك الزعماء فى ولعها بلحم الغزلان .. وشنت السلطات السوفيتية حربا على الذئاب كان الهدف منها ابادتهم .. وشـهدت منطقة البلطيق مـصرع مـئـات الذئاب التى وقعت فى شـراك الصيد ، ثم تحولت الزراعـة إلى النظام الجماعى ، وتم ترحـيل مئـات الالاف من الفلاحـين من سكان البلطيق إلى سيبريا فى الاربعينات والخمسينات ..

وكان هذا سببـا فى اتساع مساحة الغـابات وزحفها على المزارع التى تركها الفلاحون بعد الهجرة الاجبارية الوحشية التى فرضت عليهم ..

ومع اتســاع مـساحـة الغـابات إلى الضــعف عـادت الذئاب تعثـر على بيئـة طبيعـية تســتطيع التكاثر فيـها والاختباء ، وهكذا فـشلت الحرب التى شنتها السلطات السوفـيتية على الذئـاب وكانت سببـا فى عودة الذئاب باعداد كبيـرة .. وعادت الذئاب تشارك القادة فى لحم الغزلان .

٢٩

نساء .. ونساء

قال صديقنا القروى : النساء مثل البطيخ .. أنت وبختك ، إما أن يكون بختك طيبا أو يكون : بختك مثل بخت الذين يجدون العظم فى الكرشة ..

لم نتركه يستمر فى بيانه لأن واحدة من الحاضرات طرحت سؤالا يقول : إذا جاز وصف النساء بالبطيخ جاز وصف الرجال بالشمام، وهذا تسطيح بالغ وظلم لتعقيد الانسان وتركيبه أن نصفه بأوصاف النباتات والثمار ..

ولم يفلح دفاع صاحبنا القروى

عن نفســه بأن هذا كان مجرد مثل يـضربه ، وتحدث الفيلســوف بعد القــروى فقال إن النســاء مثل مـشاكل الفلســفـة الصعـبـة ، إنك لا تسـتطيع الحيـاة بدونهـا ولا تستطيع الحـياة معها ، هى مـشكلة فى الحالتين ، وهى معضلة على أى جانب من جوانب الحياة .

وتعاقب المتـحدثون واحـدا بعد الآخر ، وبـقى احدنا صامـتا حتى النهايـة ، وكان هذا رجلا مجـربا يعرف عن النســاء أكثر مما نعـرفه جـميعـا .. قلنا له : لماذا لا تدلى بدلوك فى الحـديث .. قــال : إن النســاء أنواع وأشكال وأصناف مثل الفواكه .. ولا يعنى اقترابك من صنف من أصناف الفواكه أنك ستقصر حياتك عليه ..

بعد هذه المـقدمة التى تحـمل مبـررات الخيـانة عاد صاحبنا يتحدث : يقولون فى الأمــثال العامية .. إسأل مجـرب ولا تسأل الطبيب ، وســوف أحدثكم من واقع تجـربتى .. فـانا كـمـا تعلمـون اشــجـعكم فى الطلاق والزواج ..

هناك نساء يمكن أن نسميهن نساء الكامى كازى..

إن الكامى كـازى صنف من الطيارين الذى يقلـعون من مطاراتهم فى اليابان فــى طقوس جنائزية مهيبة ، إذ المعـروف أن هؤلاء الطيـاريـن لن يعـودوا .. لأنهم ســوف يفجـرون انفســهم فى قلب العدو مــباشــرة ..

وسوف يدمرونه ويدمرون انفسهم معه ..

المرأة الكامى كازى تدخل بطائرتها فى طائرتك وتتحول الطائرتان إلى كتلة من اللهب .. أحذر المرأة الكامى كازى كما تحذر الأسد الجائع أو النمر الغاضب، لأن الاقتراب منها مشكلة ، والتفاهم معها مستحيل ، والنهاية النارية معروفة ومؤكدة ..

سكت صاحبنا ثم تناول كوبا من الماء وعاد يحدثنا عن أنواع النساء ويفيض من علمه وخبرته وتجاربه علينا .. قال : هناك امرأة طموحة ، وامرأة بلا طموح..

المرأة الطموحة تدفع زوجها إلى العمل السياسى ، وتدفعه نحو المال ، وتجمع حوله الأنصار ، وتحرص على فوزه فى الانتخابات ، وتغير بيتها واصدقائها وتتعرف بنساء المجتمع الراقى حتى يصل زوجها إلى الوزارة والنفوذ والجاه ، بعد ذلك تزوره وهو وراء قضبان السجن متهما باتهامات مالية .. وتظل مخلصة لطموحها قبل أن تكون مخلصة له حتى يموت زوجها من التعب ..

وهناك امرأة لا تعرف الطموح ، هذه المرأة تكبل حركة زوجها كلما اراد ان يتحرك رافعة شعار «من خرج من داره قل مقداره» .. وكلما اراد زوجها أن يتحرك نحو معالى الأمور شدته من بطنه وأحسنت له

الطبيخ وجددت له فى الطعام حتى تثقل حركته ويصير له كرش كبير ، يجعل حركته فى معالى الأمور صعبة إن لم تكن مستحيلة ..

وهناك نساء مثل جوليبت ، ونساء مثل ليلى العامرية ، أما جوليبت فكانت امرأة تنتمى إلى الرومانسية الصافية ، على حين كانت ليلى العامرية امرأة تنتمي للواقعية الاشتراكية ، لقد انتحرت جوليبت أما ليلى فقد تزوجت وعاشت مقهورة بين ذكريات الحب الجميل وقسوة الحياة الواقعية ..

٣٠

حلاق مارلين مونرو

يظهر في أمريكا كتاب عن الشهرة والمشاهير في هوليوود.. والكتاب هو المذكرات الشخصية للحلاق سيدني جيلاروف .. وهو حلاق كانت رؤوس المشاهير تستسلم له وهو يهذب شعرها ويقصه .. كانت مارلين مونرو من زبائن هذا الحلاق ..

والمعروف أن الحلاقين عادة .. خصوصا حلاقي النساء يكسبن ثقة الزبائن إلى الحد الذي تفضي فيه السيدات بأدق اسرار حياتهن الشخصية للحلاق ..

ولم يكن سيدني بدعا في

الحلاقين ، لقد كسب ثقة زبائنه ، وكانت مارلين مونرو من بينهن ..

كانت مارلين مونرو قبل أن تصل إلى هوليوود فتاة محدودة الثقافة لا تعرف كيف تشق طريقها إلى النجاح أو الشهرة .. ثم ابتسم لها الحظ حين دخلت عالم السينما ، واكتشف المنتجون والمخرجون أن هذه الفتاة الشقراء تستطيع أن تكون رمزا من رموز الاغراء ، ونجمة من نجمات السينما فى نفس الوقت..

وهكذا تغيرت حياة مارلين مونرو ١٨٠ درجة بعد أن وصلت لعالم الفن ..

وأخترقت الممثلة الجديدة طريقها إلى الذروة بسرعة قياسية ، أصبحت أكثر الممثلات شهرة وأجرا وطلبا من المخرجين ، كما أن مقاييس جسدها اصبحت هى المقاييس الجديدة الفتنة الأنثوية والجمال .. كما صارت أيضا موضع حسد النساء من جميع انحاء العالم ، وموضع اعجاب الرجال فى نفس الوقت ..

لم يكن هناك شىء - يمكن شراؤه بالمال - لا تستطيع الحصول عليه ..

يوم ٤ اغسطس سنة ١٩٦٢ فوجئ العالم كله بانتحار مارلين مونرو فى شقتها ، رجحت التحقيقات انها تناولت محتويات زجاجة كاملة من الأقراص

المنومة .. وحملت سرها معها إلى القبر كان السؤال الذى قفز لأذهان الناس جميعا هو التالى :

لماذا تنتحر امرأة مثل مارلين مونرو ؟

ظل السؤال بلا جواب ٣٤ عاما وها هو حلاق مارلين مونرو يلقى الضوء على الجواب .. كانت مارلين مونرو على علاقة بالرئيس الأمريكى جون كنيدى ، ويبدو أنها افشت اسرار هذه العلاقة لبعض اصدقائها فطلب الرئيس الامريكى من شقيقه روبرت كنيدى أن يبلغها أن العلاقة بينهما قد انتهت ، بعد ذلك دخل روبرت كنيدى فى علاقة معها ، وكانت العلاقة أكثر توترا وصخبا .. وكان روبرت يومئذ يعمل «مدعيا عاما» وهو منصب له خطورته .. ويبدو أن مارلين مونرو تصورت أن روبرت كنيدى سيطلق زوجته ويتزوجها، ثم اكتشفت أن هذا لن يحدث .. وبالتالى فقد انهارت ، ويحلل حلاق مارلين مونرو شخصيتها فى كتابه فيقول : أنها كانت تبحث عن الحب بتهور يائس ، كما كانت تؤمن بفكرة العلاقة الرومانسية ، ويبدو انها رتبت حياتها على الزواج من روبرت كنيدى ، ثم اكتشفت انها سارت وراء الوهم .. ويتحدث الحلاق عن آخر مكالمة تليفونية تلقاها من مارلين مونرو قبل انتحارها بساعات قليلة ، وتكشف هذه المكالمة أن روبرت كنيدى كان يزورها ، ويبدو

أنها هددته بإفشاء العلاقة بينهـما ان لم يتزوجها فثار في وجـهـهـا وصـرخ فيـهـا وهددها بانه يسـتطيع أن يسكتـها ثم انصـرف ثائرا ، واتصلت الممثلـة بحلاقـها تشكو له وانهارت فى البكاء واعترفت له بـعلاقتها مع الشقـيقين.. بعد ذلك بساعـات وضعت حدا لحيـاتها .. وهكذا كانت مـشاكل ألمع نجمة فى هوليـوود أكبر من قـدرتهـا على الاحـتـمـال فـتـحطمت تحـت وطأتهـا وانتحرت..

٣١

المرأة فى الأمثال الأوربية

الشائع المعروف فى الشرق أن المرأة مظلومة ، إن كمية الأمثال الشعبية التى تقال عنها لا توفيها حقها ، بل وتظلمها أشد الظلم .. وليس هناك أشد من ظلم الأحكام المسبقة التى تستقر فى الضمير الشعبى ، ثم تخرج بعد ذلك على صورة أمثلة شعبية أو كلمات مأثورة ..

ولقد كنا نظن أن ظلم الشرقيين للمرأة نقيصة تختص بالشرق وتقتصر على رجاله ، ثم اثبتت لنا باحثة هى استاذة الأدب المقارن فى جامعة ليدن بهولندا أن الغرب يعرف هو الآخر كيف يحط من قدر المرأة

وكيف يظلمهـا فى امثاله الشعبيـة .. نشرت مجلة فكر وفن الالمانية تقـول أن الدكتورة هات كينين فى كـتابها «أمـثـال أوربية عن المرأة» أوضـحت أن الأمـثـال التى تتناول النســاء وتحط من قـدرهن كـثيـرة فى اللغـات الأوربية جميعا ..

ولنبدأ بمثل المانى يقول :

ـ كانت هناك ثلاث نساء فيهن خير ، واحدة اختفت من العالم ، والثانية غرقت فى نهر الراين ، أما الثالثة فلم يعثر عليها بعد .

تقـول استـاذة الأدب المقارن أن الأمـثـال الشعـبيـة تكشف عن تفكير الرجال فى النساء ، فهذه الأمثال فى نهـاية الأمـر هـى مـرايا تكشف كـيف يـنظر الرجـال باستعلاء إلى النســاء ، وكيف يفكرون فيهن على أنهن فى مرتبة ادنى من الرجولة ..

كما ترى أن وجـهات نظر كهذه هى المسـئولة اليوم عن أن كـثـيـرا من النســاء مـايزلن يحظين بقـدر من الحرية أقل من قدر الرجال .

تقول المؤلفة : نحن نتخـذ من خلال سلوكنا مواقف معـينة بوصفنا رجـالا ونساء ، من غـير أن نعى ذلك فى الغالب .

إن التـحـذيرات التى تحـملها الأمـثـال للرجـال من النساء ، تكشف عن قدر كبيـر من الخوف وعدم الثقة بالنفس .

إن المثل الالمانى يقـول «للمـرأة شكل مـلاك ، وقلب افعى ، وفهم حمار»

أما الرجـال فى لوكسمـبورج فيـقولون «المرأة تبكى قبل الزواج والرجل يبكى بعده» .

وثمـة مثل هولندى يقـول «المرأة الصالحـة هى من لا عقل لها» .

وتلاحظ الباحثة الاكاديميـة أن هناك مشكلة عويصة على نحو خاص ، وهى مشكلة خروج المرأة من بيتها.. فسـوف نجد فـى كل البلدان واللغات الاوربيـة تقريبـا حكما تشبه المثل الانجليزى الذى يقول :

«المرأة الصالحة والقطة الطيبة يبقيان فى البيت» .

ويقـول المثل الهولنـدى فى هذا الخصـوص: «الرجل والكلب يتجـولان ، والمرأة والأرنب يجب أن يبقـيا فى البيت» .

أما الأسبان فيعبر المثل التالى عن أمنياتهم :

«النسـاء والقطط فى البـيوت والرجـال والكلاب فى الشوارع»

وتظهر المخاوف الشديدة للرجال فى اللغة الفلمنكية فى المثل الذى يقول : « إذا ما ابتعدت المرأة خطوة عن بيتها ابتعدت مائة خطوة عن شرفها»

أما الانجليز فـيطالبون بالعمل طبقا لتوجـيهات المثل

التالى «لا يجوز للمرأة أن تغادر بيتها إلا ثلاث مرات، يوم التعميد ويوم تتزوج ويوم تدفن»

(ومن المدهش أن هذا المثل الانجليزى موجود فى صعيد مصر ، وإن كان المثل المصرى يقصر خروج المرأة على مرتين فى حياتها ، يوم تتزوج ويوم تموت، والمعروف أن الصعيد فى مصر هو الجزء الأكثر تشددا والأقل تنمية) .

وفى اللغة الكاتالانية يقول الرجال : المرأة التى تكثر الخروج من بيتها تجعل منه مزبلة ..

ويقول الفرنسيون فى أمثالهم الشعبية «من لا يريد أن يخان ، فليتزوج فى الثلاثين من شهر فبراير» والمعروف أن شهر فبراير ليس فيه يوم ٣٠ .

إن الكتاب لا يقتصر على المتعة التى يقدمها ولكنه قد مكن النساء اخيرا من معرفة كيف يفكر الرجال فى اوربا ..

ولعل ذروة ظلم الرجل للمرأة تتضح فى المثل الذى يقول « النساء والخيل يتطلبان الضرب» وهو مثل سائر فى الدنمارك والمانيا وفرنسا وايطاليا والبرتغال واسبانيا، أما الفرنسيون فقد طوروا هذا المثل ، فهم يقولون «لك أن تضرب زوجتك ، ولكن لا تقتلها من الضرب».

وهذا هو مبلغ انسانية الرجل ، إنه لا يريد الدخول فى مشاكل مع الشرطة ..

٣٢
حروب جديدة

كان القرن العشرين من أعجب القرون التى مرت على البشرية ، وكان ابرز ما يميزه هو التفاؤل الشديد فى بدايته .. وهو تفاؤل صنعه تسارع الاكتشافات والابحاث وتقدم العلوم .

ولقد كانت بداية القرن توحى باننا أمام فترة ازدهار للبشرية ، ولكن هذا التفاؤل تبدد مثل سحابة صيف ، فلم تلبث الحرب العالمية الأولى أن بدأت ، وبدأ معها اختراع الرشاش ، وانعقدت الوليمة الفاجعة وأكلت المدافع لحم الجنود ..

وعاد التفاؤل يتعرض لضربة

قاضية حين نشبت الحرب العـالمية الثانية ، وهي حرب يقـدرون عـدد ضحـاياها بخـمـسين مليـونا من الموتى والجرحى ..

ولا أحصائيات نهائية فـي هذا الصدد ، فالعدد أكبر مما قيل إذا اضفنا إليه المفقودين ..

ولقـد انطوت نهـاية الحـرب العـالميـة الثـانيـة على مفاجأة جديدة للبشرية ، فقد نجحت امريكا فى تحطيم الذرة واطلاق طاقة مدمرة هائلة من القنبلة الذرية ..

وراجت حـركـة التجـسس بعـد اطلاق هذا السـلاح الجديد ، وسعت دول كثيرة إلى الحصول عليه إما عن طريق علمائها وإما عن طريق مـخابراتها ..

بعد سنوات من استخدام امريكا لهذا السلاح الجديد اعلنت روســيـا عن تفجـيـر أول قنبلة ذرية لهـا ، ثم تبعتها بعد ذلك دول هى التى صـارت تعرف فيما بعد بأعضاء النادى الذرى ..

ومـثلما يـؤثر كل سلاح جـديد على الحـرب ، نجح هذا السلاح بعـد معرفة آثاره الخطيـرة أن يحدث لونا من ألوان توازن الـرعب النووى ، فـصـارت الحــرب مستحيلة عمليـا ، لأن استخدام هذا السلاح يعنى ابادة العـدو وابادة الذات فى نفس الوقت .. لأن هذا العـدو سوف يوجه ضربة انتقامية تجعل نتيجة الحرب حطاما

هنا وحطاما هناك ..

إذا اضفنا لهذه النتيجة ما حدث من ثورة فى الاتصالات وثورة فى الأقمار الصناعية ، وهى ثورات نجحت فى التجسس على حركة الجيوش وجعلت من هذه الحركة كتابا شبه مفتوح ..

من هنا انسحب مجال التجسس إلى ميدان جديد تماما ، لقد أصبح التجسس على الجيوش موضة قديمة ، وصارت الموضة الجديدة هى التجسس الاقتصادى والتكنولوجى ..

وبعد أن كان التجسس فى الحروب يقع بين الأعداء، أصبح التجسس الاقتصادى والتكنولوجى يقع بين الأصدقاء والحلفاء ، وهو يقع بضراوة أشد من تجسس الأعداء ..

لم يكن غريبا اذن أن يعلن مكتب التحقيقات الفيدرالى الامريكى أن هناك ٢٢ دولة صديقة للولايات المتحدة تقوم بالتجسس الاقتصادى والتكنولوجى عليها بهدف الحصول على معلومات تكنولوجية امريكية ، والتعرف على أسرار سبل التجارة ، بما فى ذلك أسماء العملاء الذين تتعامل معهم امريكا فى مجال التجارة العالمية ..

يقول جان لويس مساعد رئيس مكتب التحقيقات

الفــيــدرالى أن مــعظم هذه الدول لا تــرى أن هناك تناقـضا بـين الاسـتـمـرار فى التحـالف العـسكرى مع امـريكا ، فى نفس الوقت الذى تسـتـعـمل مخـابراتهـا للتجسس على التكنولوجيا الامريكية .

واضاف لويس وكـان يتحدث فى لـقاء يضم بعض المسـئولين والخـبـراء فى شـئـون المخـابرات أن هناك اضرارا جـسيمة وقـعت من جراء جاسـوسـين روسيين ، وأضاف أن وكـالة المخابرات المركزية الامريكيـة قالت فى تقرير قدمته للكونجرس فى العام الماضى أن فرنسا واسـرائيل هما الـدولتان الرئيـسـيتـان اللتـان تقومـان بالتجسس الاقتصادى على الولايات المتحدة كما ورد فى التقرير أسماء كل من روسيا والصين وايران وكوبا.

أيضا تبين من تقرير آخر لمكتب التحقيقات الفيدرالى الأمـريكى أن اليـابان والمانيـا وكندا وكـوريا الجنوبيـة وتايوان وباكـسـتـان والهند يـقـومـون بالتــجـسس الاقتصادى على الولايات المتحدة .

هل نحن قادمـون على عصر جديد تجـرى الحروب فـيـه بين الأصـدقـاء والحلفـاء .. وتقع الخـسـائر فى الأموال بدلا من الأرواح .

إن الحروب القديمة كانت تقتل ضحاياها على الفور، أما الحروب الجـديدة فهدفها تجويع ضـحاياها.. ويبدو أن مجالها سيكون هو القرن الحادى والعشرين .

٣٢

مرض العصر

يقولون إن لكل زمان دولة ورجالاً ، وإن لكل عصر أمراضه وعلله .

ولقد حمل المجتمع الصناعى الحديث ألوانا من الأمراض الجديدة التى لم تكن تعرفها المجتمعات القديمة الزراعية ..

إن مرض التلوث الصناعى لم يكن معروفا فى العصور القديمة ، بينما صار اليوم شائعا فى كثير من بلدان العالم الصناعية ..

إن نسبة التلوث النابعة من عادم السيارات والتى يدخل فى مكوناتها

الرصاص تخـفـض نسبـة ذكاء الأطفال بنسـبـة ٢٠٪ ، وهى المسئولة عن تخلفهم فى الدراسة ..

قبل اختراع السيارات لم يكن هذا التلوث معروفا ..

أيضا نجحت المصانع الكيمـاوية التى تلقى مخلفاتها فى الأنهـــار أن تلوث المـيـاه تلـوثا لم تكن تـعـرفــه المجتمعات الزراعية ..

كان اقصى تلوث لهذه المجتمعات أن يصحب الفلاح بهائمه نحو النهر لتستحم فيه ..

كـان التراب الملتـصق بجلد الابقـار والجامـوس هو أقـصى تلوث يصيب الانهـار ، أمـا اليوم فـقد عـرف عـصرنا الوانا مـخـيفـة من تلوث المياه ، تبدأ بالقـاء المخلفات الكيمـيائية السامة ، وتنتـهى بالنفايات الذرية التى تدفن فى باطن الأرض أو أعـماق المحـيط ويمكن أن تؤدى لتلوث المياه الجـوفية تـلوثا لا تظهر آثاره إلا بعد عشرات السنين ..

على أن هذا كله ليس هـو موضـوعنا ، لقـد أسفـر عـصـرنا عن مـرض جـديـد لا عـلاقـة له بالأمـراض العـضـوية ، هو مـرض الكآبة .. وقـد عـبـر عن هذا المرض الكاتب الأمريكى هرمان ملفل فى رائعته «موبى ديك» ..

إن اسـمـاعيل بـطل الرواية يحـدثنا أنه كلمـا أحس

بالتجهم يرتسم حول شفتيه وكلما سيطر عليه الشعور بالكآبة وأحس أنه يريد أن يقف فى الطريق ويوجه الضربات إلى الناس ، ادرك أن عليه أن يركب البحر ..

لقد كان اسماعيل قادرا على إلقاء كآبته .. ولكن هذا الحل السعيد الذى اتيح لاسماعيل لم يعد متاحا لأبناء عصرنا وهم يواجهون مرض الكآبة النفسية ..

فى المؤتمر الذى انعقد فى بون للأمراض النفسية ذكر رئيس جمعية الأطباء النفسيين أن ثلث الالمان بحاجة إلى زيارة طبيب الأمراض النفسية .. وأضاف ان عشرة ملايين مدمن كحول يدخلون ضمن هذه النسبة وأن من بين هؤلاء الملايين العشرة ثلاثة ملايين يعانون من ادمان نفسى .

وتشير احصائية وزارة الصحة الالمانية إلى أن مدمنى الكحول والادوية فى المانيا يبلغ عددهم ١٢مليون انسان . وهم جميعا ضحية اكتئاب دفعهم للادمان .. وفى بريطانيا افادت التقارير الطبية الأخيرة عن وجود خمسة ملايين مكتئب من الجنسين .. وهذايعنى خسارة ملايين من ساعات العمل التى حسبوها باربعة بلايين جنيه سنويا ، بالاضافة إلى ما يقرب من خمسة آلاف حالة انتحار .. وقد نشرت

صحيفة طبية فى امـريكا دراسة حول الاكتئاب خلصت فيـها إلى أن المولـودين بعد سنة ١٩٥٥ أكـثر عـرضة للاصـابة بالاكـتـئاب من جـيل اجـدادهم بمعـدل ثلاثة اضعاف ..

ولقد بات واضحـا أن الاكتئاب قد صـار مرضا من أمراض العصر المعترف بهـا ، ويحاول المجتمع الغربى حله عن طريق الأدوية الكيماوية ، أو عن طريق الهرب من ادمان الخمر ، والمرض النفسى عادة ينشأ لأسباب نفـسيـة ، وبالتـالى فـإن مـحاولة عـلاجـه عن طريق الأدوية ليس هـو الطريق السلـيم للحل .. ولعـل أسلم الطرق للحل هو أبعد التصورات عن الذهن .. إن الكآبة النفسية لا تحل إلا عن طريق الإيمان ..

إن العيش فى عـالم يخلو من وجود الله أمر مـفزع تماما ، وهو كاف بذاته للاطاحـة بأمن الانسان وتدمير نفسيته .. الحل اذن امامنا ولكننا نبحث عنه خلفنا .

٣٤
كيد النساء

الطريق إلى الطلاق يبدأ بالجدل . «وكان الانسان أكثر شئ جدلا» .

ومن نوعية هذا الجدل يستطيع المرء أن يقرر الفترة الباقية لكى ينزل الستار على قصة من قصص الزواج الفاشل ..

وقد لاحظت - خلال رحلة الحياة - أن هناك فروقا بين الاسرة فى الريف والاسرة فى المدن - كما لاحظت أن كل شئ يتوقف على المرأة..

إن المدينة أكثر تقدما من الريف ،

والأفكار الجديدة تموج فـيها وتضـطرب ، وبسبب هذا فإن نسـاء المدن ينزعن إلى المساواة بين المرأة والرجل فى كل شئ .. فى الـقـرارات والتـصـرفـات والسلوك اليومى ، أما نساء الريف فيـرفعن شعار سيادة الرجل وإن كان رفع الشعار لا يعنى غالبا الإيمان بما فيه ..

وقد سـمعت عن شـجار جـرى فى المدينة بين زوج وزوجـته ، كـما حـضرت مـواقف مخـتلفة جـرت فى الريف بين الرجال والنساء ..

دعونى اتذكر ما حدث فى بيت فى مدينة القاهرة

....

قال الزوج لزوجته : لن تذهبى فى هذه الرحلة ..

تساءلت الزوجة وصوتها يرتفع : لماذا لا أذهب ..

قال الزوج باقتضاب : لأننى قلت ذلك ..

قالت الزوجة بعنف : وأنا قلت عكس ما تقوله ..

قال الزوج حانقا : تريدين أن تعـملى عقلك بعقلى ، ورأيك برأيى ..

قـالت الزوجة وهى تصـرخ فى وجـهه : لن أعـمل عقلى بعقلك ، لأنك مخرف ولا عقل لك ..

قـال الزوج : لقد انحـط الحوار إلى درجـة لا أظن

اننى قـادر على الاستـمرار ، هل تعـرفين لماذا ؟ لأننى قـد تربيت فـى بيت ابى وأمى تربيـة جـيـدة ، قـالت الزوجة وهى تشوح فى وجهه : تريد أن تقول اننى لم أتلق حظا من التربية .. هل تقصد هذا

قال الزوج : هذا ما أقصده بالضبط ..

عند هذه النقطة .. وبعد التصـعيد الذى تم ، انطلقت من الزوجة ألفاظ السـباب .. وانطلقت من الزوج كلمة الطلاق .. وانهدم البـيت لأن أحدا من الزوجين لم يكن مستـعدا لأن يفهم وجهة نظر الآخر ، أو يتـراجع عما اتخذه من قرار ، أو ينهزم فى الجدال الدائر ..

قارن بين هذا الموقف ومـوقف جرى فى الريف بين زوج وزوجته ..

قـال الزوج : لن يبيت ابنـك المدلل فى الدار الليلة ، وإنما سـيـذهب إلى الحـقل ليـرويه ، هذا دوره فى العمل..

قالت الزوجـة : ولكنه مريض .. وسيمـوت لو خرج فى هذا البرد ..

قـــال الزوج : لن يموت .. يجـب أن يكون صلبـــا كالرجال .. توقفى عن تدليله ..

قالت الزوجة : هذا قرارك النهائى .

قال الزوج : نعم

قالت الزوجـة : أمرك يا حـاج .. انهت المرأة الحوار والجدل بالخضوع لزوجها ولكنها لم تنفذ أمره ، وإنما ارسلت واحدا من ابنائهـا بدلا من الابن المريض للحقل وفى نفس الوقت اقنعت الـزوج انه هو صاحب القـرار النهائى ، وإن كلمته هى العليا وأن رأيه هو النافذ ..

يطلقـون فى الريف على هذا الموقف «كـيد النســاء» ويعتقدون فى الريف أن كيـد النساء يغلب كيد الرجال عــادة ، وترد فى كتـــاب الف ليلة ولـيلة عـشـــرات الحكايات عن كـيـد النســاء الذين غلب كـيد الرجـال ، سئل كاتب شهير كيف احتفظ بزواجه ربع قرن بأكمله فقال : لقد اتفقـت مع زوجتى على أن لى الكلمة العليا فى الشئون الدولية والعالمية ، أمـا المسائل التافهة مثل تربية الاطفال وتعليمهم والتحكم فى البيت واتخاذ كافة القرارات فمن نصيبها هى .

٣٥

حروب العصر

تغيرت طبيعة الحرب فى عصرنا عن العصور القديمة ..

كانت الحرب قبل اختراع البارود تعتمد على الشجاعة الانسانية والمهارة البشرية .. وحسن استخدام السلاح الابيض ..

كان الفارس المقاتل هو بطل هذه الحروب القديمة ..

إن عليه أن يتعلم كيف يبارز بسيفه وهو يمتطى حصانه وسط معركة يتحرك فيها كل شئ حوله ، ورغم هذه الحركة فإن على الفارس أن يثبت فوق حصانه ، ويتحرك فى

نفس الوقت ليقاتل ..

كانت هذه أول مشكلة تواجه الفارس القديم ..

ثم يأتى التدريب بعد ذلك على استخدام الأسلحة بأنواعها المختلفة ، كالرماح والسهام والسيوف .. وكان هذا كله يعتمد على الشجاعة والمهارة معا ..

ثم وقعت طفرة بعد اختراع البارود ، ووقعت بعدها طفرات اخرى بعد دخول التكنولوجيا عالم السلاح ..

لم تعد الحروب الآن دليلا على الشجاعة أو اشارة لها ، إنما صارت مذابح جماعية ..

إن قنبلة واحدة تسقط على شارع أو حى أو سوق يمكن ان تقتل عددا من البشر لم تكن الحروب القديمة قادرة على تحقيقه فى عشرين حربا متتالية ..

ورغم أن الحرب صراع يستهدف ضرب العدو وابادته ، إلا أن للحروب تقاليدها القديمة .. وهى تقاليد كانت تنبع من الهدف الأصلى للحرب ، وهو تحطيم قوة العدو العسكرية ، واملاء المنتصر لشروطه على عدوه المهزوم ..

من تقاليد الحروب القديمة ما عرفناه عن حروب الفتح الاسلامى ، كانت وصايا النبى ﷺ وخلفائه الراشدين من بعده تحذر الاقتراب من المدنيين أو

قتلهم.. كما كانت تنهى عن ضرب البيئة أو محاولة تحطيمها .. كما كانت تستبعد الرهبان ورجال الدين وتحذر من التعرض لهم ..

منذ ١٤ قرنا من الزمان كان دستور قادة الحرب الإسلامية يقول:

- لا تقتلوا طفلا ولا امرأة ولا شيخا .. ولا تحرقوا شجرة ولا تهلكوا ارضا ، وستجدون اناسا قد حبسوا انفسهم فى الصوامع فدعوهم وما حبسوا انفسهم له.. «يقصد عدم التعرض لرهبان الأديرة أو رجال الدين»..

غير أننا نسمع اليوم ونقرأ ونشاهد صورا جديدة للحرب ، صورا لا تتعرض للقوات العسكرية وانما تصب ويلاتها على المدنيين الأبرياء الذين لا ناقة لهم ولا جمل ..

وأقرب هذه الحروب المعاصرة إلى الذهن حرب الصرب مع البوسنة ، وحرب اسرائيل الأخيرة فى لبنان ..

إن الصرب كانوا يضربون الاطفال الذكور ، ويهتكون أعراض النساء ، ويقتلون الشيوخ والشباب، ويفرون فى نفس الوقت أمام جيش البوسنة وقواته المقاتلة ..

كان الجبن هو سيد المعركة .. مثلما كان الجبن فى

حرب اسرائيل للبنان هو قائد المعركة .. ولقد شاهدنا في حرب لبنان الأخيرة مجموعة من الضحايا كان اغلبهم من الاطفال الأبرياء والمدنيين ..

ما هى علاقة الاطفال بالحروب .. إن الاطفال ليسوا هم أصحاب القرار فى أى حرب .. كما أنهم ـ بضعفهم وهشاشتهم لا يستطيعون حماية أنفسهم من أسلحة الموت الحاكمة ..

من هنا نشأت فكرة محاكمة مجرمى الحرب الذين يخرجون على تقاليد القتال وبدأ تطبيق الفكرة عمليا في محاكمات نورمبرج ، حيث وقف قادة النازى السابقين فى أقفاص الاتهام .. كما جرت محاكمة الصرب على جرائم الابادة ، وبقى أن يحاكم الاسرائيليون على جرائم الحرب التى ارتكبوها فى لبنان ..

أم أن العدل له وجهان .. وجه يبتسم للغرب ، ووجه يتحاشى النظر إلى الشرق ؟

الفهرس

الصفحة

الصفحة

الصفحة

رقم الإيداع ١١٥٥٣ / ٩٧
الترقيم الدولى
I. S. B. N.
977 - 08 - 0682 - X

هذا الكتاب

أحمد بهجت كاتب استطاع أن يجمع باقتدار بين الدين والدنيا.. وأن يبدع في مخاطبة العقل والوجدان معا.. فهو كاتب إسلامي لدرجة التصوف.. وفى نفس الوقت من أقدر الكتاب على متابعة قضايا الحياة بعمق وتفرد.

وفى هذا الكتاب استطاع أحمد بهجت أن يرسم لنا صورة حقيقية وواقعية للحياة الانسانية من خلال مجموعة من القصص الحقيقية.

وقد استطاع أحمد بهجت بقدرته على فهم الشخصية الانسانية وبأسلوبه المفعم ال
والحنان.. أن يجـ
نتفاعل مع أبـ
القصص.. نفرح لسـ
ونحزن لشقائهم..
منتهى النجاح للكاتـ

نبيل أ



الثمن ٥ جنيهات

طبع بمطابع أخبار اليوم